

مفلح العدوان
نحت آخر لتمثال المفكر
مختارات قصصية
الهيئة العامة لقصور الثقافة
سلسلة آفاق عربية
169

نحت آخر لتمثال المفكر

(مختارات قصصية)

مفلح العدوان



سلسلة
آفاق عربية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• نحت آخر لتمثال المفكر

• مفلح العدوان

الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2014م

• تصميم الغلاف:
احمد اللباد

• المراجعة اللغوية:
ياسمين مجدى

• رقم الايداع: ٨٢٥٦/ ٢٠١٤

• الترقيم الدولى: 978-977-718-705-3

• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 شارع امين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

169

سلسلة شهرية تعنى بنشر اعمال الادباء العرب

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن راى وتوجه المؤلف فى المقام الاول.

نحت آخر لتمثال المفكر

واكتمل النصاب[1]

معجزة أبي أنا!

كان يدري أني لن أترك هذا المكان، ويعلم أنَي أصير سمكة إن أردت، وأكون حوتًا بأمري.. وإذ تحاصرني الجدران وتضيق بي أغدو قطرة ماء، أتسلّل من أي شقَ، وأنزّ منتزعًا خلاصي!

وُلدت سليل الماء، فكيف بالماء يخيفني؟!

حين نأوا، كان معهم قائدًا للسفينة، وكنت أُدرك أن شقاءهم بدأ مذ أخذ يزجّهم إلى جوف الفُلك غنما وبشرا، طيورا وزواحف حتى اكتمل النصاب إلاّ منّي، فأحصاهم عددا!

التفت إليّ.. قال: معنا أو يكن في الماء نعشك!

حدّقت به..

كانت عيونه جافّة إلاّ من دمعة، وكنت أخشى أن يطلق سراحها.. فيها يكمن السرّ!

تأملته.. تساءلت: الماء ميلاد الحياة، عرش السماء وميثاق الأرض، هذا ما علّمني أبي فما الذي أنساه معنى الماء؟!

غابوا..

---

1 ـ القصة من مجموعة "موت عزرائيل" الصادرة عام2000 عن المؤسسة العربية للنشر والدراسات في بيروت/لبنان

أخذت السنون تسبح معهم حين ابتعدت السفينة. وما كانوا يشعرون.. أربعون عاما في البدء قبل أن ينقطع انهمار الماء. ثم حبسهم أربعين سنة أخرى حتى ترسو السفينة. وأتبعها أربعين سنة حتى يجف الماء. فماذا تبقى إذن؟!

اخترت الماء..

حذّرته: يا أبت، لا تزجّ نفسك مع الحشرات وأراذل المواشي. وتنصّب نفسك ربّانا لسفينتهم. كن معي واختر الماء!

رفض، فدعوت له بالرحمة..

سار باتجاه السفينة.. أغلق أبوابها وأحكم سدّ منافذها..

رفع أشرعتها البيض وأنا أتبعه حتى آخر كوّة فيها.. كانت الدمعة تكاد تطفر من عينيه وكان يريد أن يقول شيئا، يريد أن يلوّح لي بيده مودعا غير أن تضاريس الخوف كانت بادية على ملامحه..

عند آخر كوّة اقتربت منه، تمتمت: أبت!

فأشار لي بالصمت وهمس بأذني: أخاف عليك منهم!

تأمّلت من خلال الكوّة كل من حوله من الكائنات، لم أرَ إلاّ اللائي يمشين على أربع بأنياب كالذئاب ولم يكن إلاّ هو بينها واقفا على قدمين وينبض بقلبي.. تمسّكت بيده، هذيت:

يا أبت!

شدّ على يدي ووشوشني خائفا: كانت مؤامرة، وهذا خلاصهم!

أبي كان حارس السفينة..

وكنت في الماء أراه يلوّح لي مثل سجّان ينهي موعد الزيارة!

أغلق الكوة، فبدأ انهمار الماء.

سعيدا كنت، وكانت السفينة تتكئ على الماء وتمشي.. تأملتها مبتعدة فتذكرت دمع أبي.. كان سجانا أنقذ كل الذين معه في السفينة وبقي. مائة وعشرين عاما يبحث لهم عن أرض بلا ماء يكملوا حياتهم فيها!

• • •

معراج باتجاه إسرا فيل[1]

صوت : إسرافيل .... إسرافيل .

إسرافيل : .... !!

صوت : ألم تتعب من هذا الحمل على كتفك ؟!! دوما على زاوية العرش أنت !!!

إسرافيل : ... ؟!!

صوت : ألا تنفخ في الصور ؟!! رحماك أرحنا .

• • •

الأرض لم يدغدغها رذاذ المطر من تلك السحب الحبلى ، والسماء أغمضت عينيها بعد أن نكست راياتها النجوم ، وتعانقت أمامها الغيوم . لكن لم يكن مطر ، وكان الجفاف ، والجوع ، والظلام . هكذا كان الحال .

• • •

حدق إسرافيل أسفل منه باتجاه الصوت ...

---

1 _ القصة من مجموعة « الرحى » الصادرة عام 1994 عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان، الأردن. ورد في الميثولوجيا الإسلامية أن العرش الإلهي يقوم على أربعة من الملائكة هم ؛ إسرافيل ، جبرائيل ، عزرائيل ، ميكائيل ، وهم ركيزة العرش وو ظيفة إسرافيل كذلك النفخ في الصور يوم القيامة حيث يُبعث الأموات من قبورهم

شاهد سبع طبقات بينهما . فخاف أن يسقط . أمعن النظر في الصوت الذي يدعوه ، وهوى بعينيه حتى وصل الطبقة الأولى . حينها شعر بثقل العرش على كتفه ...

قال : (هذه الطبقة الأولى !!) .

وباغته لمعان ضوء سطح من الأعلى ، ثم سعى إليه حديث أتى من فوق يقول :

-(أنا الواحد الأحد) .

تذكّر أنّ عليه ألاّ ينظر إلى الأعلى ، لكن في داخله هاجس يخاطبه

– هكذا ستبقى يا إسرافيل دائما .. أنت حامل العرش ، وخادم البلاط .

إلى الأسفل أنظر حتى الحضيض . حدّك حتى السماء السابعة . وبعد ذلك سيسطع الضوء . ولن تستطيع الرؤيا بل سيلطمك الصوت قائلا لك : (قف .. لا تنظر ، فهذا ليس مكانك) .

• • •

الظمأ اجتاح شفاهه ...

ساعده شدّت بقوه على العرش . أغمض عينيه في وجه الضوء ، لكن الصور اخترقت عينيه المغمضتين . طفل ، امرأة ، شاب ، عجوز ... وكلهم ينتظرون صوته .

لهب يناجيه من حناجرهم : (وَحدك المخلص لعذابتنا) .

يزداد اللّهب .

وتزداد الأصوات : (هيا ... انفخ في الصور) .

اصطدمت عيناه بالطبقة الثانية ، فرفع صوته : (اثنان !!) .

وكرر العدد عدّة مرات ليُغيّب أصواتهم . السماء الثانية ، الطبقة الثانية . ثم قال ليشغل روحه بعيدا عنهم : لديَّ عمليّة الآن ... لقد سقطت أوراق القتال ، ولم يعد من مبرر لرفع السلاح فقد ماتوا جميعا . والشهداء لا معنى لشهادتهم ، فما استُشهدوا من أجله ضاع ، والمزاد بدأ . هكذا تكون العملية (7–5 = 2) ... سبعة يطرح منها خمسة فيبقى اثنان ...

فاجأه الحديث مرّة أخرى غاضبا ، من أعلى ، وزاجرا : (بل يبقى وجهي فقط أنا ذو الجلال والإحسان) .

لم يلتفت إلى الأعلى .

كرر العملية في ذهنه عدّة مرات : (سبعة ، هي المسافة بينه وبين أصوات المعذبين . طبقات سبع . أما الخمسة فتلك هي أصابعي القابضة على الصور . وما تبقى هما اثنان ... يد تحمل العرش ، وأخرى تمسك الصور) .

تساءل بحزن : (ترى هل أخلّصهم من عذاباتهم ؟!!) .

قاطعه الصوت من أعلى : (لست وحدك المخلّص) .

عاد إلى وعيه فاستدرك قائلا : (كذلك أنا دائما الثاني . واحد هو ، سبحانه يُعطي الأمر ، والثاني أنا إذ أنفّذ ما أؤمر ...) .

• • •

التفَت حوله ...

كانوا ثلاثة حَمَلة العرش معه ، وكانت الطبقة الثالثة تأتي بعد السماء

الأولى والثانية . لكن الأصوات المستغيثة تصله رغم كل الطبقات ...

قال موجّها كلامه إلى حملة العرش :

-(هيا ... وأنت يا ميكائيل !!)

لم يلتفت إليه هذا ، ولا ذاك . ولم يُجبه غير صدى النداء :

-(ميكائيل ... ميكائيل !!)

اتجه بحديثه إلى عزرائيل مخاطبا :

-(هيا ... ارحمهم مرّة أخرى يا عزرائيل !!)

شعر أنّ الثلاثة خائفون ، فأخذ يعدّهم مرّة أخرى :

-(واحد هو جبرائيل . أثنان ... ميكائيل . ثلاثة ... عزرائيل . واحد : حياة . إثنان : موت . ثم عليّ أن أعد ثلاثة ليُبعثوا من جديد ، وأنا أنتظر الأمر لأنفخ لهم الحياة . هيا أريحوني) .

جاء الحديث قويا من الأعلى :

-(وحدي أنا مالك الغدّ والخلاص) .

أحس بعينيه تحنّان إلى الأسفل ، وتغوصان هناك ، وهو يعدّ وحده الطبقات

الباقية : (أربعة) ، وتذكّر أنه رابع زوايا العرش : تراب ، ماء ، نار ، وهواء حيث ينفخ في الصور .

أسرع في العدّ :-(خمسة) ... وأحسّ مشنقة ستعانقه ، ودوائر تَضيق حول عنقه وتحاصره ، تضيق حتى يكاد يختنق ، لكنه أسرع في العدّ . فقال : (ستة) ... وشعر بالغثيان ، وأن في (الستّة) كانت هزيمة . ثم جرّ أذيال خيبته نحو الطبقة السابعة حيث كان هو .

ولم يكد يصحو من غفوته بين الطبقات حتى وصلته استغاثات الأصوات من الأسفل :

-(هيا يا إسرافيل ... أرحنا) .

• • •

- (لماذا وحدي ، أنا النافخ في الصور ؟!!)

الحيرة أذهلته . وما استطاع الإجابة على تساؤلاته . نفخة واحدة فيعودوا أحياء كما كانوا . وها أنا عمري بطول أعمارهم جميعا قضيته منتظرا، ساكنا ، قابعا في مكاني . يدٌ تُمسك بالصور ، وأخرى تدعم العرش . فماذا استفدت ؟! ولماذا أعَذّب بالنظر إليهم ، والخلاص بين يديّ ؟! لماذا ؟!

نظر مرّة أخرى إلى أسفل .

كانوا أمواتا ينظرون إليه برجاء ... فارتجف جسده . وهَمّ بنفخ الصور ...

حَرّكه باتجاه فمه ، وجمّع الهواء كتلة هائلة في رئتيه ، فازداد ثِقل العرش على كتفه ، وأحس بألم ، فلم يستطع إيصال الصُور إلى فمه .

وجاء الحديث يسعى من الأعلى :

-(لم أصدر الأوامر بعد !!)

ارتجف إسرافيل حينها وقال بخوف :

-(سبحانك ... لك الأمر وحدك !!) .

ولم ينظر منذ ذلك اليوم حتى الآن إلى الأسفل .

لعازر[1]

قال المعلم : زحزحوا الصخرة من مكانها .

وجاء الصوت الأنثوي *× من خلف الجميع : لقد أصبح جسده نتنا.

تجمعوا حول الصخرة ، وتشابكت أيديهم ، والتقت أعينهم في رجاء مشوب

بالشك . اشتدت العروق ، واحتقنت الدماء في الجباه والسواعد . والمعلم يكرر :

(زحزحوا الصخرة ...) .. وأقدامهم المزروعة في الأرض ، كلما تكلم المعلم ازدادت ثباتا.

والصخرة جاثمة على صدر الكهف لا تتزحزح .

كيف للشمس أن تقرضهم إذا أشرقت ذات اليمين ؟ هل ينفذ النور من خلال الصخرة ؟! أوَ كانت ترميهم إذا غرُبت ذات اليسار ؟ أيّ يمين وأي يسار في الظلمة ، والصخرة باسطة ذراعيها على بوابة الكهف . وأنى للشمس أن تصلهم في تلك الهوة البعيدة ...

تعرّقت الأيدي ، وما نفذت الأسئلة من العيون .

---

1 ـ القصة من مجموعة " الرحى " الصادرة عام 1994 عن دار أرمنه للنشر والتوزيع في عمان الأردن لعازر هو الذي أحياه السيد المسيح بعد أربعة أيام من وفاته . وكان مدفونا في كهف وُضع على مدخله صخرة .

• كانت أخت لعازر خلف السيد المسيح تبكي وهو أمام قبر أخيها

قال المعلم : يالعازر قم ... فأمامك الحياة .
وجاء الصوت الأنثوي مرة أخرى : أنى يقوم وقد أكل الدود منه .
تعبوا ... وما تزحزت الصخرة .
سأل أحدهم : كم عدد الذين مع (لعازر) .
أجاب آخر ماسحا العرق عن جبينه : ربما أربعة وخامسهم " لعازر " .
علا صوت من بينهم : بل ستة وسابعهم " لعازر " .
وكادت تقوم مشاجرة بينهم .
جاءهم الصوت الأنثوي حازما: ولعلهم أكثر ... لكن المهم أن معهم " لعازر " .
تحلقوا مرة أخرى حول الصخرة .
تساءلوا بين بعضهم : من أخبر المعلم أن " لعازر " مات ؟ .
وضع أحدهم إصبعه على شفته . صمتوا .
سأل : هل سمعتم طرقا من الجانب الآخر ؟!
" تك ... تك تك "
قال المعلم : قام لعازر ... هيا زحزحوا الصخرة ليخرج .
جاء الصوت الأنثوي من خلفه : - من خرج من هذا الكهف فهو آمن .
صرخوا بلهفة : يا " لعازر " .... يا " لعازر " .

حدّق " لعازر " فيمن حوله . تحسّس وجهه .. لم تكن لحيته كثيفة . مرّر يده على جبهته ... لم تُرسم الأخاديد عليها بعد . نظر إلى ثيابه ... أجفل . سأل نفسه : هل من عادتي أن ألبس كفنا حين أنام ؟! تأمل

ثيابهم وكانوا راقدين حوله . تذكر أنه مات . لا يعرف هل نام أم مات لكنه يعي الآن صوت المعلم الذي أيقظه ...

" قم يا لعازر " .

كيف أتحرك والكفن يربطني ؟ حتى وأنا ميت مقيد !!

ضجر لعازر من جلسته فتحرر من كفنه ، واقترب من إحدى الجثث حوله .

هزها ، فقامت يشوبها النعاس . سألها : كم لبثتم هنا ؟ قالت : لبثنا يوما أو بعض يوم ، ونستطيع أن نخرج الآن . قاطعت كلامها جثة أخرى : بل لبثنا مئات السنين ، متنا ، وقمنا ... وجحظت بعينيها إلى البوابة المغلقة . تابعت : ولم نستطيع الخروج .

وارتفع صوت جثة من قعر الكهف : بل لم نحاول الخروج .

كادت الجثث أن تتشاجر لولا أن غشاها النوم .

قال المعلم آمرا: قم يا " لعازر " .... فأمامك الحياة .

زحزحوا الصخرة .

وقال المعلم كذلك : ها صوت " لعازر " من خلفها يأتي . ألا تسمعوه؟!

ارتفع من خلفه صوت الأنثى : كان " لعازر " يحذرنا .... كانوا بعيدا يتآمرون عليه . وقال لنا : أنهم يقتلوننا ثم يتاجرون بجثث من ماتوا . وفجأة جاؤوا وأخذوا " لعازر " معهم .

ارتخت أيديهم حول الصخرة ، ولم يتنبّهوا لصوت " لعازر " .

نظروا حولهم خوف أن يأتوا مرّه أخرى . حجدهم المعلم بعينيه وقال

: زحزحوا الصخرة ولا تخافوا .

خفت حدة خوفهم ، وتابعوا البحث عن ثقب يخرجوا منه " لعازر " .

نبشت أظافرهم الصخرة علها تتحرك .

" تك .... تك تك " .

ها هي أظافرهم تحفر الصخرة ليخرجونا .

ابتسم من خلال بقايا الكفن وهو يزف للجثث حوله هذه البشرى ، وهتف بهم : - فلنساعدهم في زحزحة الصخرة .

التفت إليهم ، ولكن لم يتحرك أحد . اقترب من الذي كلمه أول مرة ، فوجده

نائما. تحرك إلى الذي يليه، كان نائما أكثر. حدّق في الصخرة ، ثم التفت إلى الجثث ثانية، وسقطت منه دمعه. مسحها، وتساءل: من يساعدني إذن ؟ ومن سيحررنا من هذا الكهف ... أجيبوني ؟

نظر إلى هوة الكهف ... سحيقة ، معتمة ، ومكدّسة بها الجثث . دفع الصخرة بيديه ، وأظافره ... دون جدوى .

جحظت عيناه وصرخ بالجثث : ساعدوني ... ساعدوا أنفسكم . أنا " لعازر " ... أنا " لعازر " .

والصدى من هوّة الكهف وحده يجيب : " لعازر " ... " لعازر " .

أمعن السمع للجانب الآخر ...

لا بد وأن تزحزوا الصخرة .

ثم أضاف المعلم كذلك : من أوصى أن يُدفن " لعازر " بهذا الكهف ؟ ومن كدّس كل تلك الجثث فيه ؟!

حدّق في الصخرة التي تسد فم الكهف ...

أخذ الصوت الأنثوي المخنوق من أعماق كهوف الحزن يندب : كان يخاف أن يبيعوا جثته ، وجثث من سبقوه .

قاطعها المعلم بسرعة : لمن ؟!

لم يجبه أحد .

كانوا يحاولون - بلا جدوى - تحريك الصخرة ، مغلقين آذانهم خشية أن تسمع أصوات أظافر " لعازر " تحفر في الصخر وحدها ، غير أن أعينهم خائفة تنظر صوب الدرب خوف أن يأتوا .

كرر المعلم السؤال : لمن ؟!

جاء صوتها خائفا، هامسا، حزينا: - كلهم أتوا ووضعوا هذه الصخرة على قبر "لعازر".

• • •

موت عزرائيل[1]

قال عزرا- إيل: (سبحانك لم يبق أحد!).

حينئذ لم يومض الضوء العلوي، بل ساد صمت، فانقبض قلب عزرا- إيل.. وكان الثلاثة حوله: (إسراف – إيل..

ميكا- إيل.. وجبرا-إيل).

(أي عزرا-إيل.. ألم تأخذك بهم رحمة حين قبضت على أرواح الجميع؟!).

قال جبرا- إيل.

(إنها الأوامر قضت بأن يموتوا، ولست إلاّ يد العليّ!)

وغشي الحزن عزرا-إيل!

• • •

جاء الصوت: (من بقي يا عزرا-إيل؟!).

التفت حوله..

كانت الأرض فارغة إلاّ من شواهد القبور، وأشباح الموتى، وهسيس الريح الذي يضرب جدران البيوت.

ولم تكن اليابسة لذة للساكنين. ولا السماء فضاء الحالمين، وحدها

---

1 ـ القصة من مجموعة " موت عزرائيل" الصادرة عام2000 عن المؤسسة العربية للنشر والدراسات في بيروت. لبنان

القبور كانت!

أما الدروب فكلّها بقايا ذكريات بعيدة: هنا نقش البشر تاريخهم، والعروش بقيت تفتقد دفء عباءات المتربّعين عليها، والمشانق تهتزّ حبالها بعد أن سقطت كل الرؤوس.

وفي الأزقة رذاذ كركرات ضحك الأطفال بلا صوت، والوحشة خيمة حتى على الذكريات.. لم تبق إلاّ الريح بلا معنى. حياديّة حد النشيج!

• • •

(من بقي يا عزرا-إيل)؟!

(سبحانك.. لم يبق أحد!).

وارتفع الصوت متحدياً: (بل بقي يا عزرا-إيل!).

حدّق حوله مدققاً أكثر..

كانوا يحيطون به: (جبرا- إيل/ الحبيب. إسراف-إيل/الرفيق، ميكا – إيل/الصديق) كذلك أنا مؤتمن العرش وقابض أرواح الجميع!

ماذا؟!

هل يعقل بعد هذه الخدمة العظيمة لهم في سرايا السماء أن يأمرني بأن أقبض أرواحهم: الحبيب، والرفيق. والصديق وأنا؟!..

ماذا؟! غريب أمر هذه السماء!

أبيض.. أحمر.. أخضر.. أسود..

والبقية ماشية بألوان أخرى كثيرة. تسير ولا تدري إلى أين.. على فترات أكلها الأسد بعد أن تنازلت في البدء عن الثور الأبيض، ثم الأحمر، والأخضر، والأسود.. والبقية!

حتي جاء يوم قالوا فيه: (أكلنا يوم أكل الثور الأبيض!).

تذكر عزرا-إيل تلك القصة الأرضية فتساءل: (ماذا عن مواشي السماء؟!).

قال الصوت: (من بقي يا عزرا-إيل؟!)

أجاب بانكسار: (لم يبق إلاّ جبرا-إيل، وإسراف-إيل، وميكا-إيل. وعبدك الماثل بين يديك!).

عبدك! عبدك!

هه.. نعم. كلنا عبيدك، ولك الأمر.. ها نحن أمامك بعد أن عذّبنا الجميع وأمتناهم. فماذا بقي؟!

أغمض عينيه فرأى كيف كانوا يجوبون البلاد. كل البلاد، ويتنصتون إلى كل همسة ونأمة فيها، ثم يخبرون صاحب الأمر بما تحدث به اليمين، وما خطّط له اليسار.. يرصدون له من فرح ومن بكى..ثم يأتونه مخبرين: (لقد أخطأوا، وأساءوا.. لقد عارضوا وانحرفوا).

فيأمره صاحب القول: (يا عزرا- إيل، إقبض أرواحهم ثم زجّهم في القبور). ويفعل دون سؤال!

يبكون فلا يرحم.. يرجون فلا يجيب..

يتشبثون به: (يا عزرا- إيل، أمهلنا يوماً أو بعض يوم!).

لكنه لا يسمعهم!

قال لروحه: (كم كنت غبيا إذ لم أسأل نفسي ماذا سيكون مصيري حين يموت الجميع؟! وماذا أذنبوا لينتهوا، ويزجّوا في القبور مع الدود والذباب؟! ألأنهم حاولوا أن يسألوا ويفكروا؟!).

(يا عزرا-إيل.. إقبض روح جبرا- إيل؟!).

ارتفع الصوت آمرا.. فبكى جبرا-إيل!

وغطى الحزن وجهه فتساءل: (سبحانك.. لماذا؟! ألم أكن خادم عرشك المطيع؟! ألست حامل رسائلك إلى مريديك حينا، وجناح عذاب على معارضيك أحيانا أخرى؟! ألم أكن نفخة الرحمة على بعض المدن - بأمرك - في زمان. وإعصار نقمة على أقوام - بأمرك - في زمان آخر؟! ألست حاجبك المطيع، وحارس سرّك الأمين؟! إذن.. لماذا تسلّط سيف الموت حتى عليّ؟!).

لم يتراجع الصوت، فاقترب عزرا-إيل وقال:

(عذيرك.. فلابدّ وأن أطيع الأمر.. لابدّ!).

وقبض روح جبرا-إيل.

• • •

مرهقا كان!

ورأى إسراف-إيلِ، وميكا-إيل يرجوانه ألاّ ينظر إليهما.. قال ميكا- إيل: ليتني لم أخلق!

قال إسراف-إيل: الدور قادم إلينا، ولا مناص من قبضة عزرا-إيل!

هزّهما الصوت: (يا عزرا-إيل من بقي من عبادي؟!).

نظر إليهما، فأشاحا بوجهيهما عنه.. وتحشرج صوته..

قال: (سبحانك لم يبق إلاّ ميكا-إيل، وإسراف-إيل، وعبدك الماثل بين يديك!).

ساد الصمت..

واقترب منهما. فالتقت عيناه بعيني ميكا- إيل: (كيف يأمرني بقبض روحك وأنت من كنت بيدك تقبض أرزاق البلاد وخزائنها، وبيدك انسياب الأنهار، ودموع المطر؟.. كيف؟.. وأنت كل الأشياء كنت تعطي أو تقطع، تأمر أو تنهى! ثم بلحظة يتخلّى عنك! كيف وأنت ذراعه التي تجتاح كل الأمكنة، وتبعثر كل استقرار؟!).

حول عينيه باتجاه إسراف-إيل..

كان الصُور بين يديه، بينما قلبه ينفخ خوفاً، وعيناه مذهولتان: (أنا.. أنا من عذّب الجميع.. الآن أعترف! لا مجال للإنكار، ولا بديل عن الاعتراف، فبعد قليل، وربما الآن سيقبض عزرا-إيل روحي رغم أنه صديقي. لماذا أكذب، حتى آخر لحظة. على روحي؟! نعم كنت سبباً في شقاء الكثيرين، وعليّ أن أعترف: أقر بأني أرهقت البشر. كل البشر بالعذاب.. وكان خلاصهم بيدي لكنّي لم أفعل.. كنت الوحيد القادر على بعثهم ببوقي هذا لكني أجّلت ذلك عن سبق إصرار على تعذيبهم وتصميم على نيل رضا العليّ ولو على حساب آلامهم.. الآن أعترف، وما كنت أدري بأن السيف الذي سلّطته على رقاب العباد سيصل إلى رقبتي!).

(يا عزرا-إيل.. إقبض روح ميكا-إيل).

أمر الصوت بذلك، فانقضّ عزرا-إيل بسرعة خوف أن يأخذه ضعف، فقبض روحه.

ثم لم يبق إلاه، وإسراف-إيل فكانت المواجهة:

(عزرا-إيل.. ماذا لو أمرك ان تقبض روحي.. هل تفعل؟!).

(رحماك اسراف-إيل.. وهل كنّا جميعا نستطيع أن نخالف أمره؟!).

(كان أفضل لو لم نعذّب، أنا وأنت، البشر.. ماذا استفدنا الآن؟!.. لا شيء!).

(كنا نستطيع أن نخفّف عنهم، لكننا ما فعلنا.. وهو أمر بذلك!).

(لو نستطيع الهروب!).

(لكن إلى أين نهرب؟!).

• • •

ارتطم الصوت بأذانهما: (يا عزرا-إيل.. من بقي من عبادي؟!).

فابتعدا فجأة عن بعضهما كأن لا رفقة بينهما..

قال عزرا-إيل: (بقي إسراف-إيل.. وعبدك الماثل بين يديك!).

وبكى إسراف-إيل حين سمع:

(إذن.. فاقبض روح إسراف-إيل).

قال عزرا-إيل: (ما الذي يبكيك الآن؟!).

بكاء إجابة: (تذكّرتهم.. كلهم كانوا يرجونني أن أُريحهم، ولم أكن أفعل.. كنت قاسياً معهم.. تذكرتهم، وها قد جاء دورهم لينتقموا من عذابي لهم..!).

اقترب منه، فسقط سماءً.. ومات!

• • •

بقي عزرا-إيل..

أحسّ بالغربة وحيداً!

تأمل حوله فكان رفاقه في خدمة العرش يسبحون موتى بين السماء والأرض بلا قبور ولا جبروت!

أخذ يهذي: (وحدي بقيت. وجميعهم رحلوا.. ليتني لم أعذّب أحدا.. ليتني لم أمت أحدا.. اقتربت الساعة، وأنا حتى آخر لحظة إسفين الموت والعذاب حتى على أعزّ الأحباب لي!).

سمع الصوت: (من بقي يا عزرا-إيل؟!).

ها قد جاءني الموت!

ماذا أفعل؟! دقّات قلبي تنخفض قليلاً، قليلاً، والبرودة بدأت تجتاح جسدي.. آه، لو أشرب قطرة ماء.. لو أعطى القليل من الوقت لأكفّر عن خطاياي بحقّ من عذّبتهم..

اقتربت الساعة، فماذا أفعل؟!

بلهفة قال: (سبحانك لم يبق إلاّ عبدك الماثل بين يديك!).

عبدك! عبدك!

إرحم عبدك.. أنا من نسي كلّ الرحمة من أجل إطاعة أمرك..

ليتك ترحمني! عبدك.. عبدك!

كنت سيفا بيدك، وموتا بأمرك، وعذابا على كل معارضة لك، وكاتم صوت لكلّ من عاداك! فهل تنساني بجرّة عمر أو نفخة صور؟!

عبدك! عبدك!

أظنك لا تخذل خدم عرشك!

دون اكتراث جاء الصوت: (الآن جاء دورك يا عزرا-إيل)

وأحسّ بيد تنتزع روحه..

في آخر شهقات الموت قال: (آه لو كنتَ أدري أن هكذا كان عذابهم ما كنت فعلت.. ليتني كنت بهم رحيما!).

وسقط سماء!

• • •

كان الصمت أثقل من الموت!

والسماء كما الأرض أصبحت بلا ساكنين!

جاء الصوت: (من بقي من عبادي؟!).

لكن.. لا أحد يجيب!

ازداد الصوت أكثر: (لمن الملك اليوم؟!).

بقي الـ(لا أحد) يجيب صمتا!

قال الصوت: (المُلك لي وحدي أنا القوي القهّار!).

مزمار تموز[1]

يحن ليوم كان يحمل مزماره، ويهشّ بموسيقاه على غنمه!!

تتبّع رائحة الماضي وهي تنزّ من شقوق ذاكرته، فأحسّ روحه تعلو محلّقة باتجاه البعيد، خفيفة، شفيفة كنور ملاك.. استلبه لحن عتيق، كانت تتراقص بوحي عزفه الحجارة والأشجار، الأغنام والبشر، في استسلام وديع لناموس مزماره.

أغمض عينيه عائدا لتلك السنوات..

سار وراءها، باحثا عن ذلك الإيقاع المفقود؛ تجاوز عتبة البيت، ثم الرصيف، ومشى في الشارع، لكنه حين داهمه ضجيج العجلات، وثرثرات المشاة، انكسر زجاج الموسيقى على سواد الإسفلت، وبرودة الإسمنت، وأحسّ بطائر النبض القديم يخبط بجناحيه مفارقاً قلبه.. تحسس الفراغ المتبقي في صدره، فلعن يوم مجيئه خلف تلك الأنثى!!

•••

كانت خيانة زوجية، أودت به إلى زاوية المقبرة.

-(هل أذنبَ حين اقترف الموسيقى؟!).

أصغى لهواجسه في بحثه عن مسوّغ لما يحدث له، غير أن صوت

---

1 ـ القصة من مجموعة "موت لا أعرف شعائره" الصادرة عام2004م عن دار أزمنة للنشر في عمان الأردن، ودار ميريت للنشر في القاهرة مصر

السلاسل كان يعلو فوق رعشة الموسيقى التي آخذت تدب في كل جسده!!

اقتادوه وحيدا، كجثة بلا مشيعين..

تساءل: (لماذا لا يأخذونه إلى سجن بجدران، وبوابة وسجّان. ككل الضحايا أمثاله؟! هل صارت المقابر سجون الخلق في هذي المدينة؟!).

•••

اثنان.. وثالثهما الأنثى..

والشجار دائم بينهما، على من يملك قلبها: الأول كان هو عاشق الموسيقى والكلمات، المتأمل نقوش الصخر، الهائم في ملكوت اللون، المستلب للحن، العابر برزخ الخيال أنّى سارت به الرؤى.. كان هو، لكنهما اثنان، والأنثى واحدة، بينما الآخر مكتمل الهندام كإله أنيق، يهوى العبث بجيوبه كأنه يحصي نجوما يخبئها مع ما ملكت شهواته.. الآخر، يشع من عينيه وهج العقل، وفي حركته خفة الماء، وانسياب الفكرة التي تحيل الجمال رقما يضاف إلى آلته الحاسبة مع ما يكنِز في جيوبه.. وهي واحدة، وهما اثنان، فمن تختار الأنثى؟ قربان الموسيقى، أم قربان الآلة الحاسبة؟!!

•••

الانتظار مقصلة العاشق..

عقرب سمّه اللحظات التي تتخثّر بطيئة، كسولة.. ولا أحد يأتي!!

-(أين اختفت؟!). تساءل.

اليوم عيد زواجهما، وهي لمّا تحضر، كأنها ضمير الغياب..

-(ما الذي شغلها الآن؟!) حاور روحه.

اليوم السابع، من الشهر السابع الذي تحدّد الروزنامة اسمه ب "تموز".

-(لماذا اختارتني، بعد أن صادرت مزماري، ومنحتني اسم الشهر الذي عرفتها، وتزوجتها فيه، فصرت شبيه تموز؟!)

بحنق، وعريٍ، وضع الحقيقة أمام عينيه: صار مختلفا عما كان قبل ذاك الاختيار، كل شيء فيه مختلف: اسمه، مزماره، نبض قلبه.. كل هذا كي يبقى والأنثى أقنوما واحدا.. روحا واحدة!!

لم تحضر الآن.. والوعد أن تكون دائما قريبة منه هذا اليوم، السابع من تموز، ليستمرّ حرز مصادرة الاسم، وإلاّ فالغياب يبطل البدائل، ويحيي بقايا الذاكرة.. الموسيقى بدأت تسحبه باتجاهها حنيناً لمزماره الأول!!

•••

ناموس عشقي لا يقبل اثنين، وأنا اخترته راكلة جيوب الآخر، فعليه، الاختيار، أيضا، بيني وبين مزماره.. تمتمت لروحها بذلك، وأضافت: (وحدي، ولا أريد لي شريكاً به)..

في السابع من تموز، عادت بها الذكرى لفاتحة استلابها له.. كل سنة منذ سبع سنين تعاودها الغيرة من تلك الموسيقى المنبعثة من ملامسته لآلته التي كان يحملها دوما بين يديه.

أحست روحها تحترق دون نار..

تساءلت: (هل خانها في الذكرى السابعة لاختيارها؟! أم هو وهم الغيرة الذي يأسرها كل سنة في مثل هذا التاريخ؟!).

شعرت أنها حبيسة عزلتها، فأرادت تميمة، حجابا، تعويذة، لتحصن روحها من أثر ذكرى المزمار.. اتجهت نحو المقبرة، بينما السؤال يسير معها: هل خانها، أم هو الوهم؟!

شارفت السور، فبهرتها هندسة الشواهد، وشدّتها صفوف القبور المرصوفة واحدا بجوار الآخر، كأنها بيوت الأحياء!!

فكّرت: (المدينة هكذا.. مقبرة أخرى..)

اقتربت أكثر مذهولة من كثرة الشواهد، ولا أسماء عليها، كل شيء غائب هنا، ولا بقاء إلاّ لرائحة الموت، وبرودة الصمت.

انسحبت من هذرَها، نحو طلبها: (هل أجد التميمة هنا؟!).

تنبهت لصوت في داخلها: (الغيرة، مقبرة أخرى..).

وعاودها السؤال مع ملامح وجهه: (مم تغارين؟! لا أنثى تنافسك قلب "تموز".. فقط هو المزمار، والموسيقى المبعوثة من ملكوته!!).

صرخت: هنا المعضلة!!

تجاوزت مدخل المقبرة.. ثم اتجهت إلى الزاوية حيث المقام يحتضن قبرا ملفعا باللون الأخضر، الغائب في الظلمة، الغارق في السكون!!

اقتربت منه..

أحسّت يدا تسحبها بعد أن فقدت إرادة توجيه جسدها، فاستسلمت مذعنة لليد التي تجرها إلى أن أوقفتها أمام القبر الذي جاءها، منه، الصوت: (بإرادتك أتيت.. ولا خيار لك في الخروج!!)

بخوف تجيب: (بإرادتي جئت آخذ تميمة، وحجابا، يعينني على البقاء!!).

بعد برهة صمت جاء الرد: (وحيدة ستبقي. فاختاري من يفديك..
حبيسة القبور أنت. حتى يأتي البديل!!
البرودة مرعبة.. والمقبرة، كل ما فيها مجهول في عالم الغيب!!
حاولت أن تنسحب من أمام المقام، فلم تفلح.. أرادت الهروب والتراجع عن هذي التجربة المتعفنة، إلاّ أنها كلما زاد توقها للخلاص من سطوة المقام. علا الصوت مؤكدا: (من يفتديك؟!).

•••

لعن المدينة..
فتش عنها في الأزقة والدروب، فلم يجدها: (أين ذهبت؟).
عاد راكلا الإسفلت، وسعال المشاة، وسناج السيارات. وصراخ المارة، كأن كل
ما يصادفه صار كرة يركلها محاولاً إبعاد قرفها عنه، ومبقيا داخله حنينه فقط.
كأنه يلثغ أول الكلمات حين راوده الحنين.. زاد نبض قلبه، فاتّضحت لوحة
القصة منذ البدء أمام عينيه.. نطق معاتبا: (أحنّ لها، وأحن لموسيقاه، فكيف تضع الأنثى روحها ندًا للموسيقى؟!).
دُهش من طلبها، آنذاك.. كان مهرها أن يتخلّى عن مزماره. فبدأ الجفاف يغزو
حياته. بعد أن تساقطت أشياؤه واحدا واحدا؛ أغنامه التي تخلّى عنها للذئب. ورقعة الأرض التي هجرها بلا زرع ولا ماء، وها هي الأنثى

تضعه في مواجهة الخيار الأخير: (هل ستبقى وسط هذه المدينة تنفخ مزمارك؟!).. تلك ثالثة الأثافي!!

تبًا للمدينة.. الآن، هو، بلا أنثاه، ومن غير مزماره، في اليوم السابع من تموز.. ولا أحد معه!!

عاد إلى البيت..

لم يجدها..

زاد حنينه لها.. فأحيا غيابها توقه لموسيقاه!!

توجه إلى الصندوق الذي وضع فيه المزمار منذ سبع سنين.. فتحه، فهشّ إليه

المزمار كأنه صديق قديم.. لمسه.. بكى.. وأخذ ينفخ لحنا عتيقا، بانتظار الأنثى!!

●●●

أيَ حقد يحمل الأموات على الأحياء؟

صمتهم إدانة غير معلنة، وهي بينهم تتوسلهم، تستجدي خلاصا من الظلمة، فلا يجبها

أحد.. تحاول مرّة أخرى متلمسة الجدران، والشواهد، والقبور، والأتربة، علّ تقربها منها يشفع لها عند صاحب المقام، لكن بلا جدوى. فما كان يأتيها إلاّ الصوت الذي يطلب الفدية كأنها قتلت كلّ ذريته، ويريد ثأره منها، مؤكدا كلّ حين أن لا خروج من بين الأجداث، ولا خلاص لمن دخل المقبرة راغباً، لأنه صار منها، وسُجّل في لوحها، ولا عودة لمن أراد التراجع إلاّ بفدية تكفّر توق الدخول، وتكسر طوق

كشف الأموات. وتعادل مقام المرار..

صرخت.. بكت.. ولعنت، بعد أن استجدت الانعتاق، غير أن الرد أتى

بأن رأت اثنين ينسلان من الخضرة التي تغطي المقام ويقتربان بكامل قيافة كفنيهما. إلى أن وقفا أمامها.. خافت.. فجاءها الصوت معلنا بدء مراسيم الفدية: (اذهبي معهما، ودُلّيهما على من يفتديك!!).

●●●

بياض كفنيهما، فاضحٌ، غير أن لا أحد يلتفت إلى الاثنين الممسكان بها،

كأنهما شرطيان، وهي المجرم بين جثتين!!

اخترقت المدينة..

تمنت لو يصفعها شخص، أو ترتطم بها حافلة.. اشتاقت أن يجتاحها أي دفء

يبدّد برودة الأيدي الميتة التي تقتادها!!

هذت: (الموتى.. كيف لا يلحظهم أحد وهم يتحركون في المدينة؟!).

أثارتها هواجس كثيرة وهي تمشي بين كفنين:

(الموتى..

ماذا لو تحركوا من قبورهم؟!

ماذا لو دبّوا على الأرض مشياً بكامل أكفانهم، ثم بدأوا بالتفوه بما رأوا داخل

أسوار المقابر، وتحت أكداس التراب؟!

المصيبة أكبر لو أعجبتهم حياة المدينة، وأخذوا بالتزاوج والتناسل، في سبيل إنجاب

أموات مثلهم.. ماذا سيحدث للأحياء حينئذ؟!

الموتى.. ها هم يأخذون مكان الأحياء في المدينة؛ يبدأون تزيين قبورهم بالقرميد،

وشواهد الياسمين، والحجر الأبيض. ثم يكتبون أسماءهم على بوابات قبورهم، ويفتخرن بآبائهم وعائلاتهم، فيزيدون كلمات التعريف على مداخل مساكنهم، ويرصفون المسافة بين قبر وآخر واضعين الأسوار بينهم، مؤسسين بقبورهم مدينة موازية لهذي المدينة التي يواطنها الأحياء.. في تلك اللحظة، ينظر الموتى للأحياء، بشفقة، ويترحمون عليهم، أحياء مساكين، لا يعرفون عن الحياة الأخرى شيئا).

بكت حين تداعت داخلها تلك الأفكار، لكن الاثنين المرافقين لها، لم تتحرك في أعينهما أية بادرة رحمة، أو نظرة عطف.. كانا مصرّين على أن تدلّهم على البديل عنها!!.

•••

يجهش باللحن..

يتبع قلق أنفاسه النافخة في المزمار، كأنه يريد إحياء الكون، وإيقاظ السماء، وبعث المدينة دفئا من صقيع السكون!!

هو، والمزمار..

وأمامه سبع شموع، وكأسي نبيذ!!

تموز يبكي..

سمع الطرق على الباب. لكنه لم يستطع إيقاف رحلته مع مزماره، ولا حجب دموعه، أو ضبط نبض قلبه..

زاد الطرق على الباب.. فازدادت موسيقاه ترحيبا بالآتي، وكأنه كان يعرف، أن

القادمة أنثاه. لا ريب فيها!!

دخلت.. فرآها وحيدة..

تقدمت، وكان معها اثنان، لكنه لم يرَ إلاّ حضورها، بينما هي رأت المزمار بيده..

تأججت الغيرة، كأن شيطانا يلقمها حطبا، وزيتا، وحقدا، فلم تشاهد فرحة الشمع، ولا تهليلة النبيذ!!

أشارت إليه، وقالت لهما: (أختار هذا.. فديتي!!).

فرح بيدها الممدودة له، فاندفع باتجاهها رغبة وشوقا.. وقفت مكانها، واختفى تموز مع الكفَنين، تاركا المزمار يسقط أمامها!!.

التابوت[1]

لم يره أحد يضحك .

ورآه الكثيرون يبكي . مُجهدا كان دائما .

وكان يعمل كأنه سيموت بعد ساعات .

يرتّب الخشب بعضه بجوار بعض ، يربطه بالخيوط ، ويُثبّته بالمسامير حتى يبني ما بدأه ...

وكانت الأرض حوله قفراء لا ماء فيها ، ولا خُضرة . ينزّ العرق من جبهته ، لكنه لا يتوقف عن العمل . تنزلق قطرات العرق في أخاديد وجهه ، وتحرث جلده . تجتاز القطرات العينين ، الخدين ، وتخترق أطراف فمه . تلامس شفاهه فيُحسّ بطعم الملح لكنه لا يتوقف عن العمل .

كانوا يمرّون بجانبه . كلهم يمرون : الشيوخ ، النساء ، الشباب ... حتى الأطفال ، ولم يكن ينظر إليهم . يتأملون طويلاً ما يفعل ، يطرق المسامير فيحسّونها تصرخ تحت ثقل يده ، ويشد الخيوط فيتحسسون رقابهم كأنه يشدّها حولها ...

كانوا يضحكون كثيرا .

ولم يره أحدٌ إلاّ ساهما أو باكيا. ينتظرون طويلا أن ينظر إليهم أو

---

1 ـ القصة من مجموعة " الرحى " الصادرة عام 1994 عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان/ الأردن

يرتاح ليسألوه عما يصنع . هل بيتا؟ ... كوخا؟... أم حظيرة ؟!!!
يتأملونه . لكنه لا يتوقف .
يملّون الإنتظار فيذهبون ويأتي غيرهم لمراقبته . يتجرّأ بعضهم فيسأله : يا
سدومي ... ماذا تصنع ؟
لا يلتفت إليهم ، ولا يتوقف عن عمله . كذلك لا يُجيب عن أسئلتهم . يُضيّقون عليه الخناق بأسئلتهم ... وتهكّمهم :
إنك بلا شك مجنون .
هل تبني بيتا للصعاليك أمثالك ؟!!
يضحكون ، فلا يضحك ، لكنهم لا يصمتون :
يا سدومي ... ماذا تفعل ؟!
سترى نهاية عملك هذا . سيصلك الموت .
اصنع ما تريد فلن تنجو .
يبقى صامتا ، والعرَق يلمع تحت هجير الشمس ، ولا يسمع إلاّ لهاثه وصوت مطرقة يضرب المسامير بعنف في الخشب . بينما يبتعد المراقبون بيأس في جهات مختلفة ومعهم أسئلتهم واستغرابهم .

• • •

للغار منفذ واحد .
إن خرجت منه فسوف يَروني ، وسوف لا أُكتب شهيدا في السماء إن متّ بين أيديهم . لا زلت في البداية ، وعليّ أن أتحمل . ستَمرّ النار على جلدي ، وسأتحمل . قد يُطفئوا سجائرهم في جمجمتي ، لكن سأتحمل

. وربما يبصقون على وجهي ، وتدوس أحذيتهم الثقيلة جسدي ....
سأتحمل ، سأتحمل ، ولن أتذمّر . وإذا تفوّهت بكلمة ، ورضخت ، سأخسر نفسي . سأخسر كل شئ ، وسيقتلوني في النهاية . لا . لن أخرج من هذا الغار حتى لو بقوا العمر كلّه أمام بابه .

كان يُحدّث نفسه بعد أ استطاع الهروب منهم ، والاعتصام بالغار .
سمع أصواتهم تتحدث قريبة منه ، أمام الغار :

أين هرب ؟

كيف استطاع الفرار من بين أيدينا ؟!

هذا السدومي القذر يحسب أن الهته خير من آلهتنا .

لابد أن يَكتب براءته ، ويُعلن توبته . ثم يسجد لإله سدوم .

سمع كذلك تمتمات كاهن بلاط الإله تعلو :

(إلاهنا إلاله ...

يا سيد الجميع ...

تبارك الإله .. في حصنه المنيع .

سبحانه الإله ... سيد الجميع ...) .

وكانت أصواتهم تبتعد . فأخذَته غفوة .

• • •

يا سدومي ... يا سدومي .

لم يرَ ضوءا، لكن الصوت كان يملأ الغار . ولم يرَ أحدا، فخاف أن يكونوا قد اهتدوا إلى مكانه وعادوا .

يا سدومي ...

نعم

قالها بخوف . فارتفع الصوت .

كان يريد أن يرجوه ألاّ يعلو صوته حتى لا يهتدون اليه .

اصنع التابوت لك ... ولأمثالك .

أحسّ برعشة تهزّ جسده .

وكان الحاضر يُنبئ بالموت ، والصوت يأتيه جنائزيا، بينما ظُلمة الغار كفنٌ يحيطه. لكن هل أكون شهيدا؟ وما أدراني أن قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار. من منّا المُخطئ ؟!!

كان يسأل روحه ...

والصوت أقنعه أن الفقراء على حقّ . أحسّ أنه إذا مات فقيرا سيكون سعيدا... لذا سيصنع التابوت .

• • •

كانت معالم عمله قد بدأت تتّضح .

ضحكوا منه ، لكنه لم يضحك رغم أنه سمع همسهم المرتفع ، وتعليقاتهم

الكثيرة ...

إنه تابوت .

بل إنه سفينة على شكل تابوت .

لكننا في الصحراء ... ولا بحر لدينا .

ثم يضحكون جميعا. بينما هو لا ينظر اليهم ، بل يلتفت بعيدا. ويبكي.

• • •

حين خرج من الغار ، بقي صامتا

توقعوا أن يرفع سيفه أمام وجوههم . وكانوا يراقبونه حذرين ، وينتظرون أن يبدأ الكلام ، أو يبدي أي حركة ضدهم .

لكنه لم يقل شيئا .

وعندما بدأ عمله في بناء التابوت ، قالوا : لقد كُسرت شوكته ، ويئس ، وتراجع .

فأهملوه .....

وأعلن كاهن الإله للجميع : لقد جُنّ السدومي .

• • •

اختارهم ذكورا وإناثا ...

ولم يكونوا من نسل الآلهة ، بل فقراء ، جوعى مثله ، وحائرين كذلك . غرباء إلا حين يلتقون معا. وضعهم جميعا معه في التابوت ... كانوا مثله فقط ، ولم يكونوا من نسل الآلهة، كذلك لم يكونوا حيوانات ولا زواحف .

ثم أغلق على الجميع التابوت ... وهو معهم .

بعدها بدأت المياه تهاجم المكان ، والمطر ، كل المطر كبريتا يقصف .

أربعون ليلة مطر ، حتى لم يعد هناك كاهن ، ولا جنود ، ولا آلهة .

واختفى كل الذين كانوا يضحكون .

بعدها رسى تابوت السدومي .... وخرجوا جميعا .

في البدء كانوا خائفين ...

وحين رأوا المكان لهم وحدهم وللسدومي تنفسوا بحريّة ونشوة .

صمتوا قليلا ثم سمعوا ضحكة .

التفتوا باستغراب ، فرأوا السدومي يضحك .. يضحك . وبدأوا بالضحك معه .

العكاز[1]

واحد فقط هو الذي قال: (سأموت وحيدا!).

ثم ابتعد..

حين نأى، ساد صمت، وتنبهوا إلى عكاز طويل يصل بين جذور التراب ويد لا يستطيعون تجاوزها.. كلما حاولوا رفع رؤوسهم لرؤية ما بعد قمة العكاز زاغت أبصارهم، وانهدّت ظهورهم باتجاه أقدامهم، فلا يصلهم إلاّ رجع صدى صوته الراحل من بعيد:-

(من استطاع حمل صليبه.. فليتبعني!).

في اليوم الأول، لم يروا وجها..

تنبّهوا فجأة إلى عكاز ينتصب أمامهم، فتابعوا استقامته، وأعجبهم طرقه قويا على الصخر حيث تفجّرت تحت جلد سوطه عيون الماء، ثم جاءهم الصوت مؤكدا: -

(اشربوا!).

وارتفع العكاز مرّة أخرى هاشا على الرمل باستقامته فصارت الصحراء زرعا، وأتى الصوت مرة أخرى آمرا:-

(كلوا!).

---

1 ـ القصة من مجموعة " موت عزرائيل" الصادرة عام 2000 عن المؤسسة العربية للنشر والدراسات في بيروت/لبنان

بعدها استوى العكاز قائما على التراب. وامتد (شاطحا) إلى أعلى..
وصار العراء سكونا!
في اليوم الثاني أتوا واصطفوا صفا واحدا أمام العكاز..
جميعهم اصطفوا إلا واحدا زاغ عنهم، وأبى..
حين قالوا: (إيّاك نشكر)، وتقرّبوا من العكاز فرحا.
قال: (سأبتعد عنكم!). وحمل الخشب والمسامير والحبال ثم خرج ضاحكا وهو يعلن:
(سأصنع صليبي!). وساد نحيب.
أربعون عاما واليد تتكئ على العكاز، وهم إلى الأسفل منها يعملون.. لا العكاز تزحزح من مكانه، ولا هم عن انحنائهم ارتقوا، وكانت عيونهم تنظر إلى الأعلى خلسة وتحسب الأيام قطرة فقطرة.. وكلّما سقطت ورقة تمنوا ألاّ يأتي اليوم التالي، لكن الغد يأتي.
فيبدأون بالتمني مرة أخرى: (ليته يُبعد عكازه عنّا.. لو أنه يغيب كأنه لم يأت كابوسا وحلما مقيتا.. ليته يسقط!).
مرّت أربعون عاما على آخر كلمة سمعوها: (ابدأوا البناء، وأنا أذود عنكم الأعداء.. وأحميكم!).
وبدأوا كما أمروا، وصار البناء هيكلاً يرتفع سورا وراء سور. وبين تارة وأخرى كان يأتيهم الحلم داعيا (أحمل صليبي.. فمن يتبعني؟).
لا يتحرك العكاز من مكانه..
وهم لا يستطيعون رفع رؤوسهم بعيداً عما يعملون.. كان البناء ضخماً، والهيكل يحتاج إلى أكثر من عمر لإنجازه!

لعنوا الماء والزرع الذي أوصلهم إلى حالهم هذا..

تداعت إلى أذهانهم أيام كانوا يقضون الليل سمرا مع ضحكات أطفالهم وعشق نسائهم، ويحرثون النهار عملا في ورد أرضهم وقمح ترابهم، ولا حسيب على أحلام سعادتهم، أو رقيب على كركرات فرحهم..

كان الهيكل أضخم من همومهم.

وكنَ أربعين عاما قد مضين والعكاز جامد، ثابت أمامهم كجبل، ولا صوت إلا وجيب لهاثهم وطرق معاولهم.. يتأملون الأفق فلا يجدون إلا نقوش العكاز طولاً وارتفاعا.. بدءا وختما.. وإذا زاغت عيونهم من بلادة النقش، تحفزت آذانهم، فيتسلل الصوت داعيا:

(أربعون عاما وأنا أحمل صليبي على كتفي وأطرق أسوار هيكلكم.. فمن يتبعني؟!).

تجهمت الوجوه..

منذ اليوم الأول وهم يتذمرون سرا، ولا مجيب، وهذه هي الذكرى الأربعون.. ولا خلاص!

العكاز منتصب.. جذره في التراب، ورأسه في يدٍ لا يرون جسدها!

حدقوا فيه أكثر: كانت أسرابا من الدود تصعد وتنزل على كل مساحة الخشب، فتذكروا نبوءة حامل الصليب: (في الأربعين.. انتظروا المعين!).

هل هو الدود؟

كيف يجرؤ على قامة العكاز فيدوس عليها؟!

تأملوا أسراب الدود فكانت أرتالا تسير بخطى منتظمة غير ابهه بأحد!

ماذا سيحدث للدود حين يكتشف أنه ينخر في عكاز عمره أربعين شتاء ولا ربيع!

هو الدود إذن.. المعين!

لم يجرؤوا على التأمل أكثر.. كانوا يخافون أن يكتشفهم أحد.. تابعوا عملهم وهم يختلسون النظر بين شهقة وأخرى!

في نهاية الأربعين أكملوا الهيكل..

في نهاية الأربعين أنجز الدود عمله أيضا!

فجأة سمعوا صوت ارتطام، وجسد يتهاوى بعد أن تفتت من تحت يده العكاز الذي كان يسنده!

سقط كله، برأسه ويديه وقلبه. فخاف الجميع، ولم يجرؤوا على الاقتراب.. فقط هو الدود الذي اقترب ودخل من كل بوابات الجسد، وغاب فيه!

حين رأوا أسراب الدود تجتاح الأنف والعين والفم، وتجتاز هيبة الجسد إلى الداخل، اقتربوا.. ولم يتحرك الجسد!

فرحوا في البدء، وحاولوا رفع رؤوسهم لرؤية ما بنوا فلم يستطيعوا.. كانت ظهورهم محدودبة وعيونهم ملتصقة بالأسفل.. حين اكتشفوا هذا تهالكوا بكاء على الجثة وعيونهم تراقب الدود.

أتاهم صدى الصوت مودعا:(أربعون عاما وأنا أحمل صليبي على كتفي.. ولا أحد!).

بعد الخلق.. قبل النزول[1]

آدم..

منكسرا كصغائر الذنوب..

وضجرا كآخر الخلق أو أوّلهم!

نظر للسماء، هي أرضه الآن.. تساءل بعد أن تعلّم الأسماء والأسئلة، ورأى ما رأى من دهاليز الفضاء:

(ترى، ما العرش؟!

هل كان العرش قبل الماء؟! أم بعد الماء جاء؟! ما الماء؟!)

ضرب ساق الشجرة التي يجلس تحتها بيأس..

تأمل قامتها: (ما الشجر؟!

ولماذا هذه الشجرة بالذات يجب ألاّ ألمس؟! وثمرها عليّ ألاّ آكل؟!

العرش أمرني بهذا!

العرش على الماء باقٍ في جلال وبيان! والماء يُنبت الشجرة أيضا.. لماذا لا ألمسها إذن؟! هل فيها من ماء العرش نبض أم فيها من الخلود جذر؟!).

---

1 ـ القصة من مجموعة " موت عزرائيل" الصادرة عام2000 عن المؤسسة العربية للنشر والدراسات في بيروت/لبنان.

حضن الساق بذراعيه .

تحسس نعومة الجلد. وحلق بنظره حتى قمة الشجرة. ثم أخذ يتسلقها دون أن يُسقط شيئا من ثمارها!

(تعربش) على أغصانها، وجلس على أعلى قمة فيها.

تعبا كان..

وسعيدا بهذا النصر أيضا!

مدّ يده عاليا بنشوة طليق. فتحرك رفّ الحمام باتجاهه قادما من الأفق، وحطّ قريبا منه!

حكّ رأسه مذهولاً من رفّ الضيوف القادمين إليه بلا استئذان.. تذكّر: (وعلمني، الذي أوجدني، مع الأسماء منطق الطير أيضا.. لكن ما الحمام؟! قفاز أبيض يتحرك وحيدا فارغا في أيّ كف.. تحركه الريح أينما اتجهت.. الحمام طير.. والطير لا يمكنه الثبات. جاسوس ينقل جناحيه هنا وهناك).

- يا حمام (قال مخاطبا ضيوفه).

•لبيك يا أبا..

- أبو! ماذا؟! لم أنجب قابيل بعد.. قالوا لي آدم!

•آدم! لا.. سيكون ابنك الأكبر هابيل.

- لا.. بل هو قابيل.

•قابيل قاتل.

- وماذا أحتاج غير القتلة حين أُبعث إلى الأرض؟! كيف سأحكمها دون القتلة؟! الأرض لن يسكنها الأبرياء!

أحسَ بحركة تحت الشجرة فهش على الحمام بيديه، وابتعد رفَ الزائرين باتجاه أسفل الأفق!

حواء..

دارت حول الشجرة بنشوة طفلة تحلم!

تأمَلت الثمار الدانية من الغصون إليها، وتحسست صدرها.. كان ممتلئا!

تابعت استقامة الساق قبل تفرّع الغصون والثمار، ثم حدّقت في جسدها: الساق، الخصر، الرقبة.. والثمار تفاح ممتلئ على جسد الشجرة.

همست لروحها : (الشجرة أنثى!

والأنثى. ما الذي يبقى منها إن لم تُلمس؟! ما معنى كلَ التفاصيل فيها. بساقها وأغصانها وثمارها، إن لم تُكتشف؟! أم تبقى نهبا للريح بعيدا عن اليد، والفم. والقلب، والروح؟!

مُحرَم علينا أكل الثمار أو لمس الشجرة.. لماذا؟! والشجرة أنثى!).

مدّت يدها لتلمس ساق الشجرة..

أجفلت حين داهمها رفَ الحمام آتيا من أعلى فأعادتهما وأحاطت بهما صدرها.. وحطَ الضيوف حولها..

تأمَلت لون الطير فأزهرت على خديها نشوة أنثى تنتظر البياض..

×جميلة وأنت تحضنين ثمار جسدك (خاطبها الحمام).

- السماء، كلّها جسدي الذي أحب (ردّت بابتسامة عاشقة).

•والأرض أيضا..

- ها.. الأرض؟! ما الأرض؟!

•مجهولة لك.. ومحجوبة عن عينيك!

- أهي أجمل من السماء؟!

•حياة أخرى هي..

- حياة أخرى؟! إذن فما نحن فيها هي الحياة الأولى؟!

•وحين تنتهين من هنا سترحلين هناك!

- وأترك كل الأشياء؟! الثمر والشجر.. الخمر والنهر.. كلّ الأشياء؟!

•وستُبعثين هناك حيث المال، والبنون، وزينة الحياة الأخرى.. والباقيات الرائعات!

- البنون! ما البنون؟!

•ثمرة جسدك، ونتاج التحادك مع آدم!

- مثل الشجرة هذه، وثمارها!

•وستكونين أم قابيل!

أجفلت حين سمعت اسم قابيل، واتكأت على ساق الشجرة.

قالت باحتجاج:

قابيل! هو قاتل.. لا لست أم القاتل.

•بل ستكونين.. هكذا أراد آدم.. هو أبو قابيل، وأنت زوجته، إذن أنت أم قابيل!

- لا.. هو قاتل.. وأنا أمّ الميت، هابيل.

•بل أم القاتل قابيل!

- القاتل يزول، والمقتول يبقى.. الأرض سيملكها البريئون.. الأرض للموتى، والسماء لهم أيضا.

بنزق هشّت بيديها على الحمام، فابتعد الرفّ جميعه، وأخذت تدور حول الشجرة!

القرار

كان يجلس قريبا من العنق.. يعبث به بيديه، ثم يتحرك باتجاه الأسفل مكتشفا بواطن الجسد.. صدرها كان واسعا كحقل يسرح فيه الخيَال. وخصرها أجمل من لوحة بكر.. بقي ينزل شيئا فشيئا، وأصابع يديه لا تتوقف عن الاكتشاف.. صلبة كانت ثمارها، وناعمة كل تفاصيلها.. يشتهيها، غير أنه لا يستطيع قضمها.. ينزل غائرا باتجاه الأسفل، يمر على ظلمة ما، كثيفة هي التفاصيل هناك، تجاوزها فوصل الساق، احتضنه، تشبث به بقوة عاصرا جسده عليه، ورعشة خلاياه لا تتوقف إلى أن لامست قدماه السطح أسفل الشجرة حيث كانت حواء بانتظاره من رحلته من القمة حتى خوف الأنثى..

تأملها..

صارت نحلة الشهوة تئزّ داخل جسده.. لكن طنين بقايا الكلمات التي سمع بقي يعبث في رأسه: قابيل قاتل.. هابيل مقتول.. حواء أنثى.. الشجرة أنثى.. الأرض! الأبناء.. الدم!

•آدم.. أ..دم!

زادت شهوته مع إيقاع صوت اسمه الخارج من فمها.. ازداد قربا منها، فكانت الدمعة معلّقة في عينيها.. فجأة انقطع حبل العين عن الدمع فسقط على أرجوحة الخدّ دون اكتراث.

حواء.. ما الذي يبكيك؟! (شعر برعشة حنين وهو يحادثها).

×سيقتلون بعضهم!

- أبناؤنا الذين لم يأتوا بعد!

•الحمام أخبرك إذن؟!

- قابيل قاتل.. هابيل مقتول!

•القاتل والمقتول أبناؤنا يا آدم!

دار حولها..

كانت ترتعش كورقة أمام ريح، حاول تهدئتها فتساقط دمعها أكثر.. حدّق حوله. صارت السماء سجنا يضيق عليه بعيدا عن أبنائه الذين لم يولدوا بعد!

انفجر دُمّل الأسئلة حين زاد بكاء حواء، وتحرّك نبض جديد في قلبه: (أبنائي؟! لماذا نحن هنا؟! كيف لا تكون الجريمة ونحن نُحلّق برفاهنا هذا حول العرش نساءً ونوما وحياةً بلا أسئلة؟! من سيحميهم؟! من سينقذ هابيل ويُصلح قابيل؟!).

تعلّقت دمعة في عينيه، ثم تأرجحت مثل مشنقة.. اقتربت حواء فمسحتها، وهمست في أذنه: (الشجرة أم.. الشجرة أنثى!).

هزّ رأسه موافقا والتفتا معا باتجاهها فكانت ثمارها دانية نحوهما.

الخطيئة..

صارت السماء رخوة تحت قدميهما كحلزونة.. ولزجة (كبزّاق) البئر.. والفضاء زنزانة تحيط بهما من جميع الجهات، بلا رحمة ولا ألفة..

يمينا.. لا بشر من نسل آدم.. ولا رجال!

يسارا.. ليس ثمّة أنيس ولا صوت حياة.. ولا نساء!

أماما.. أفق رتيب بلا حركة ولا همسة.. مثل فراغ!

أما من الخلف فعالم لا يمكن الغوص فيه.. وألف إشارة قف!

ليس إلاّ الشجرة، مُخلّصة الآباء، ونافذة الزنزانة الوحيدة للخروج إلى الأبناء قبل أن يكون الدم!

•أدم.. الخطيئة في رقبتك إن لم تنقذ الأبناء! (قالت هذا واتكأت عليه محاولة التماسك وعدم السقوط).

- حواء.. الخطيئة قدرك إن لم تشاركيني النزول إليهما!

(حضنها مداريا ضعفه).

•آدم.. لن أتخلى عنك.

صار جذع الشجرة قريبا من التقاء شفاههما المشغولة بقبلة من بقايا رحمة السماء.. كانت أولى القُبل.. ابتسمت حواء حين لامستها الثمرة، وثارت النشوة في داخل آدم.

الشجرة أنثى!

همس في إذن حواء، ثم قبَلا معا الثمرة قبل أن يقضماها..

اختفت السماء..

وبدأت الأرض تزرع الأبناء والشجر!

حين بكى الملح[1]

هنا ... طعم الهواء والماء واحد، واليابسة يلفعها الدقيق الأبيض.

الماء نعش جاف ، كفن لكل من فيه . أبحث في أحشاء هذا اللحاف الأزرق عن بقايا خيوطٍ من البروتوبلازم تسبح بجوفه ، فلا تسعني الرؤيا. أقترب أكثر، وأحرّك الماء بعيني . أحدّق فأرى وجها هشّمته أمواج الملح .وأذني صَدفةٌ تصفر فيها استغاثات مضيفينا هنا .

••

" سنزور الميت " ...

وتناقلت أسرتي قرار أبي هذا في لحظة الرضا تلك .

" لكنه بعيد " ...

هذا كان أول رد فعل من أمي وهي تفكر فيما سترزم من أغراض لهذه الزيارة .

" الفحم ، واللحم ، والملح ، ما أجملها زيارة لا ننسى فيها أخذ هذه الاغراض" .

كان هذا صوت الكبيرة من أخواتي تستحضر اللازم بسرعة خوفا من تأجيلها في لحظة كسل من أمي ، أو لحظة تراجع من أبي ...

••

---

1 ــ القصة من مجموعة " الرحى " الصادرة عام 1994 عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان/ الأردن.

النار يفرزها الماء والهواء والیابسة من جمیع الجهات . والشقوق تبتلع اللهاث أسفل مني . والسماء مقطبة تعلق كآبة فانوسها البرتقالي على جبهتها . لكني أمشي ، والحصى تحت قدمي توشوش بعضها بعضا . أمشي فيقترب الملح بحرا مني ، ويقفز كالجنادب نحوي . فيستحيل الملح نطفة ، يقترب أكثر .. مضغة ، ثم علقة ، فعظاما . وبعدها تكسى العظام ملحا من جديد . يقترب أكثر ، والصدفة ظمأى تزمجر .. حذار ... حذار ...

هيأوا كل شئ ، وتفحص أبي (الفحم ، واللحم ، والملح) . ابتسم حين رآها ، وتمتم كمن يكلم ذاته " لديهم الكثير من هذه الأشياء" ....

انطلقت بنا السيارة ، وبدأ أبي يحادث الصغير الذي سأله منذ البداية إلى أين ؟ . أرادت أمي مداعبة الصغير ، غير أنها صمتت حين التفت أبي إلى الصغير ، وعيناه تقطران أشفاقا وأسى . ثم حوّل نظره إلينا من خلال المرآة . يسكن وجهه حزن وخوف شيّدته السنون . كان يراقبنا وكأنه يحملنا على بساط القلق نحو العالم الآخر ...

سألنا وهو محدّق في المرآة : ألا تعرفون ؟...

بعدها بدأنا نعرف ....

••

عانقت قدماي الماء والرمل والهواء ، والموجة تتسلل من بعيد فتكبر ، وتكبر ، حتى تصل أمام قدميّ ، وتهزّني مرتطمة بي ، فيزداد ارتفاعها . يتضخم كالورم ليجتاح كل المساحات . تردد الصدفة القرار.. " سنزور الميت " .

ما أغربه حين نطق بهاتين الكلمتين . ثم صمت بحزن . وفرحنا . وتناقل كل أفراد العائلة بفرح ... " الميت ... الميت " ... والزبد يزداد ، ويزداد ، والرمل المتشرب بالملوحه يصبح بيادر من الأجساد التي يتناهشها النمل ، فتستغيث ...

(يا واهب العذاب والردى) ... والشمس تبصق بلغمها ثم تسعل ، فتُكرّر الصَدفة السعال ... (يا واهب العذاب والردى) .

••

... وقال للصغير : (وأنبئوا أن عليهم الخروج من هذي البلد ، شرط ألا يلتفتوا خلفهم حتى يبتعدوا عنها ...) .

وأُنبئوا كذلك ... " أن من يلتفت دُبرا سيصبح تمثال ملح .. " . تجاوز أحدى السيارات أمامه ، بصق من النافذة . شفتاه جافتان كالملح ، والجبهة اشتعلت في أخاديدها السنوات العجاف فأحالتها حفرة للإنهدام . لكن عينيه لازال فيهما البريق الآمل رغم تلفعهما بمياسم الحزن .

قال الصغير ... " وخرجوا ؟! " .

انكسرت عيناه عن المرآة باتجاه مقدمة السيارة ، وما تبقى من فضاء أمامه . تنهد بحرارة ... " وخرجوا .. واختلطت الأصوات من خلفهم بين صراخ ونواح وتحطّم ، والأرض ينهشها البكاء فتُغرقها الدموع من ورائهم . ومع الهزيع الأخير من الليل بعد أن شارفوا على عبور الحدود ، جاءهم صوت من آخر القافلة يسعى : " وكيف سننساها ، وننساهم ، حتى وإن أصبحوا ملحا ، أو عهنا ... لمن نتركهم ؟ .. " "

فتوقفت القافلة ...

••

ازداد ضرب الموج على قدمي ، والرمال تدفعني إلى أعلى ، فيتناهى لي صوت انطلق من فم انشق عنه الزبد ...

هذا جسد صاحبي ، لا تطأه .

أجفلت ، فخطوت إلى اليسار . فازداد الصوت ...

لقد دُست جبهتي

تراقصت بين اليمين واليسار ، والخلف والأمام في حيرة ، والصوت المحذر يزداد ...

كانت كلها أعضاء متناثرة تحتي وحولي ...

" هل أضع قدميّ على كتفيّ ... ؟!! "

••

تسمروا في أماكنهم ...

ارتفع الصوت أكثر من خلال البكاء : "أنتركهم ؟!"

كانت السماء خلفهم تمطر البلد نارا وتُطبقها على بعضها قالبة إيّاها رأسا على عقب . لم يكونوا ليستطيعوا النظر إلى الخلف ... قالوا : "هيا سيري" ...

تشابهت عليها أصواتهم ، لكنها ميّزت صوت زوجها مرددا معهم : "سنتركهم" ....

كانت يده تبحث في الظلام عنها بينما عيناه تتجهان إلى الأمام ....

جاءه صدى صوتها : "ليس قبل أن أراهم . لماذا يُحَرّم علينا حتى النظر إلى عذابهم" .

أحس بصوتها قريبا منه . أمسك بذراعها . شعر برعشته تسري في جسده عندما سمع ... " عذابهم ... عذابهم " ...

سأل نفسه : "نعم ... لماذا ؟" ...

لكنه بقي محدقا في جيوش الظلام التي تمتصه إلى الأمام . شدّ أكثر على

ذراعها ، خرجت الكلمات تلقائية متعثرة ...

لا تلتفتي إلى الخلف ...

هل تخضع لرجائه ؟ والذكريات ، والمكان ، والأهل، حتى آلامنا المشتركة هناك ، أنمحوها من الذاكرة ؟! وماذا سينتظرنا عند الذي ننظر إليه أماما ؟!

أحست بقسوة يده على ذراعها ..

لماذا يمسك يدي وقد حرّم علي النظر ؟ ليته يسمعني ...

- "وكيف لي أن أنساهم . والنار تنهشهم ، والريح تحرقهم ؟".

دوّن برأسه كلماتها ... كيف؟ ... لماذا ؟ .. وصوت صراخهم من خلفه ... ألم من فوقه ألم ، طبقات تتلو طبقات ...

عاد إلى وعيه قائلا لها في استنكار وخوف :

"ستصبحين تمثال ملح" ...

نظرت للأمام . لا شئ سوى الظلام الذي لا تدري ما يخفي وراءه ، وقافلة إحدودبت ظهور مشاتها من أثر الرحيل .

نطقت بسرعة وهي تُشيح وجهها بقرف بعيدا عن السائرين ، ساحبة يدها من يد زوجها ...

" سأذوب معهم إذا ... وداعا ... "

••

تجاوزتني الريح بعد أن سرقت كل أنفاسي . ولا حياة فيها . نظرت للبحر . لا خضرة . ولا طحالب . بحلقت في الرمال ، صحارى من الملح .. فوضعت عيني في عين الشمس ، غير أنها صبّت كل اتقادها على الرمال الكئيبة . تململ الرمل ظامئا ، وتوسّدت كل حبة رمل صدر جارتها .

قالت الصدَفة ... " يسألن عن هذا المتأمل في الميت " .

ارتجفت ... " يتكلمن عني " ....

أمسكت حفنة رمل . رميتها في الماء فاختفت شيئا فشيئا .

••

تشبّث الصغير بأمي .

قالت : " وهل نظرت خلفها ... وأصبحت تمثال ملح ؟! "

كنا نوغل في الانخفاض ، والطين يُطبق على آذاننا ، وضجيجا . وضغطا . كانت السماء تنفخ مزاميرها كي تُخرج الأرض أمواتها . لكننا نرحل إلى الأسفل .

أسفل . حتى أخفض بقعة في الأرض والميت قبر يحوي قبورا ...

شدّ أبي على المقود بقوة وهو يقول بصوت خفيض حزين : (نظرت ... وأصبحت .. وما أصبحوا ...)

••

ـــ " الميت ... الميت "

أكرر وراء الصدفة .. " أنت شرنقة كلما تقدم عليك الزمن ازددت ضآلة .. فتتحوصل " .. !!

ما ذنب حتى أبي ذنيبة لا يعيش بداخلك . أتأمل ساقي وقد جف الماء عنها ، ولم يتبق سوى دقيق أبيض . داعبته بأصابعي ، أحسسته يتألم ... " أصبحت ما أصبحوا " ... والصدَفة تردد كلمات وصرخات ثم تصمت . عدت أتأمل وجهي مرة أخرى في الماء ، وكان هشيما... وأكثر غربة .

" تعال ... اشعل الفحم "

استغربت أن تدعوني الصَدَفة لمثل هذا الفعل ، والغور يُشعل الملح والفحم بحرارة شمسه ... ؟!

كان أبي يجلس القرفصاء متأملا الموج بصمت ، والأخدود يزداد اشتعالا في جبهته ... والصغير ينادي عليّ ..

ثلاثة طيور[1]

ابتسمت مؤتة حين رأت الطائر يُحلّق في سمائها...

أمّا حارس مسجدها فكان منهمكا في تفقّد الأضرحة المعروضة داخل المبنى بحسب قُربها من محراب الشمس:

زيد ؛ قاتل حتى عانقته الجراح ثُمَّ قُتل !!

الثاني ؛ زفّته الملائكة بعرسٍ حين حاصره الموت بين الأعداء. وكان عبد الله!!

أمّا الثالث ... فالويل لي ... لقد اختفى !!

ركض باتجاه الباب ونظر إلى الخارج ... لا أثر للّصوص !!

عاد فتأكّد من القبر الثالث ، كان مفتوحاً كعيني ميّت وما فيه إلاّ تلويحة أيدي الفراغ والظلام ...

ضرب كفًا بكف ، وتمتم :

الثالث اختفى !!

خاطب القبرين الآخرين بهذيانه:

لقد سرقوا الجثّة ... سرقوا الثالث ... جعفر!!

• • •

---

1 ـ القصة من مجموعة " الدواج" الصادرة في طبعتها الأولى عام 1996 ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق، سوريا، والطبعة الثانية عام 2012م، من دار ورد للنشر في عمان/ الأردن.

- أنا الحمامة.

- وأنا جعفر.

هكذا بدأ الحوار في سماء مؤتة!!

كان جعفر نَزِقا في عروجه بينما الحمامة سلسة في نزولها ..

واستمر الحوار:

- لو جناحيّ مُختلفان عن لون جناحيك !!

- بدأت الطيران بعد أن قُتلت، ولم تسقط الراية، أمّا جناحيَ فلونهما بلون دمي.

- أنت جعفر الطيّار إذن !!

- وأنت حمامة الزيتون أيضا !!

- ستعلو أم ستهبط ؟!

- أنا دائما أعلو.

- أنا تعبت !!

- وأنا جعفر.

• • •

انطلق الحارس باتجاه الشرطيّ، فحمل الأخير عصاه واقتحم المبنى ...

عد القبور بسلاحه :

- واحد. وقرأ على الشاهد (زيد) اثنان. واقترب من القبر وقال (عبد الله) ... ثلاثة. وقرأ (جعفر الطيار) ... التفت إلى الحارس ... قال :

- وبعد معاينة القبر تبين أن المفقودات هي جثة المدعو جعفر الطيار بكامل لباسه الذي مات وهو يرتديه!

• • •

تثاءبت مؤتة قليلاً بعد الفجر ..

وحين ارتفعت الشمس ذراعا مسحت وجهها بالندى ثم سرّحت شعرها .. تمطت . فلامست يداها السماء!!

كانت الغيوم قد رحلت ، والفضاء آخر وكر للأرواح ..

قالت مؤتة :- يا سماء ، صباح البنفسج على أفق عينيك!!

ردت السماء :- صباح التبر التراب على أم جعفر!!

ثم (وشوشت) مؤتة السماء :- هل وصلتك الأمانة؟ فهزت السماء صفاءها وهمست :- كنت أدري أنهم سيهربون إليّ !!

• • •

سقط الحمام أرضا ...

وارتفع جعفر سماءً وهو يهذي :

- الأمر ليس حسنا !!

ورأى فيما يرى الطائر حين يلتفت أسفل جناحيه رتلاً من الدجاج يصطفّ طابورا ، واحدا وراء الآخر ، ورأى ديكاً يلبس بزّة صقر يمشي أمامها ويُعلمها كيف تأكل ، وكيف تنام ، وكيف تستيقظ ، وكيف تبيض!!

ورأى قبره مشرعا بدونه ، وعاريا من أيّ مجد ، فسقطت منه دمعة

ارتفع أكثر وهو يقول :

- لو استمعا إليّ لكانا معي الآن !!

• • •

طرق عبد الله على الجدار الفاصل بين قبره وقبر زيد ...

فردّ دير بطرقتين كما اتفقا قبل رحيل جعفر ، ثم قرّب أذنه من الجدار ... وسمع :

- زيد ... زيد ... أجبني !!

ردّ عليه :

- أسمعك بوضوح، تكلّم قبل أن يأتي الحارس.

- ما رأيك بما فعل جعفر ؟

- ما رأيك بما فعلناه نحن ؟

- لو رافقناه لكان أفضل !!

- ماذا سيفعل الشرطيّ الان ؟!

- أظنّه سيكتب محضرا بما رأى ، وسيرصد المفقودات :- جثة، وملابس مُلطّخة بالدماء ... ثم تسجّل القضية ضد مجهول.

- ونحن؟ ماذا سيحدث لنا؟!

- سنبقى في سجننا هذا.

وسنبقى نستمع لحركات الدجاج، وثرثرات السُيّاح، وشخير الحارس إلى أن يعود جعفر !!

- أو نقتفي أثره فيما فعل !!

• • •

همس الشرطيّ في أذن الحارس :

- إمّا أنك بعت جعفر للسيّاح . أو أن لصوص الآثار والتحف سرقوه .. فما تقول؟

قال الحارس :

- لدي فكرة ... لم ير القبر مفتوحا أحد إلاّي. وأنت فما الذي يمنع من أن تغلق القبر على (لا شيء) ونُعلق القضيّة !!

أجاب الشرطي:

- هذا أمرٌ حسن !!

وجاء السُيّاح ...

رأوا ثلاثة قبور مغلقة داخل سياج المبنى !!

• • •

نظرت مؤنة إلى أعلى ...

شاهدت ثلاثة طيور بأجنحة مُخضّبة تحلّق مبتعدة باتجاه عين السماء ... فابتسمت ، ثم بكت !!

مفاتيح عمر[1]

ضاعت المفاتيح!

مذهولاً قفزت من فمه الصرخة عبر الصحارى تمرح فوق الكثبان، وعلى نواصي النخيل، وفي واحات الظمأ، فيرتدّ صداها مُذكرا إيّاه: (ضاعت المفاتيح!).

في الهزيع الثالث من الليل أحسّ بحركة، ثمّ بأصوات نعالٍ تبتعد بينما بعيره منحورا يصدر أصواتا في احتجاج وتنبيه له!

فتح عينا.. رأى بقايا الظلام تغلّف سكون ليّل الصحراء.

فتح عينه الثانية.. لم ير خادمهُ قريبا منه!

تحسّس رداءه مُتفقدا جعبة المفاتيح المشبوكة فيه.. وجد فقر ردائه ولم يجد المفاتيح!

تأكد أكثر..

تمنى لو كان عاريا من ردائه، لو نُحر قبل أن تختفي المفاتيح وهو مستلق على الرمل كما البعير!

لا أثر لأيّ شيء، والخادم مثل سراب الصحراء تلاشى تاركا البعير منحورا يتململ احتجاجا على غفوة سيده: (كيف ينام عمر؟!).

---

1 ـ القصة من مجموعة " موت عزرائيل" الصادرة عام2000 عن المؤسسة العربية للنشر والدراسات في بيروت لبنان

لم يكن قد ابتعد كثيرا..

المدينة تفصلها إغفاءة عين وحلم عنه!

والمدينة أهلوها ائتمنوه مفاتيحها لَمّا أتاهم وخادمه على ظهر بعير يتناوبا ركوبه درءا للهاث التعب، واتقاء قلّة الماء، بينما رفيقهم هذا سمَاع لرجع حديثهما. لَاح لهواجس عمر وهو يغذّ السير فرحا لاستلام الأمانة!

الراكب. والراجل. والبعير بينهما!

مسافة ويتغيّر المقام: يصير الراجل راكبا. والراكب راجلا. والبعير باقٍ بينهما شاهدا على نبض قلبهما، وعلى هذيانات روحيهما!

(مدينة تُسلم مفاتيحها لغير أبنائها، مدينة عاهرة!). قال عمر!

عوى الذئب..

قريبا من أبواب المدينة سمعا العواء!

والذئب إذا عوى أمام باب مدينة فستضيع مفاتيحها، وسيجتاحها الهوان..

غصَ عمر بشياطين أفكاره!

تداعت أمام عينيه تفاصيل رحلته، وتأمَل عيني خادمه: (كأنّ بهما عيني ذئب!).

تساءل: كيف رافقته كل ظمأ الترحال ولم ألمح عينيه؟! كيف قاسمته امتطاء بعيري، ولم ألحظ العواء في تكرار أسئلته: (يا عمر.. ما المفاتيح؟!). أجبته: (المفاتيح حرز المدينة، وتميمة بقائها!). يُضيّق السؤال أكثر: (وماذا لو ضاعت المفاتيح؟!). أردّ بحزم وأسى:

(ضاعت المدينة!).

والرمال تزداد كلما توغلنا ولوجا. والخادم يكرر الأسئلة فأخاف على المدينة وأهجس بعفتها وببكارة مفاتيحها: (ما الذي دعا أهلها لاختياري مؤتمنا على مفاتيح مدينتهم؟! أليس في كل هذه المدينة رجل صالح يؤتمن عليها؟!

ياه.. مدينة ما بها حكيم واحد مدينة لا تستحق الحياة!) نفض رأسه من ذكرياته وهواجسه وتأمل بعيرة المنحور أمامه..

صار وحيدا مع الصحراء!

كلهم ذهبوا: الخادم، والبعير، والمفاتيح.

(ما الخلاص؟!)، تساءل بحيرة: (هل يبتعد غائبا كدم بعيره في الرمال، أم يعود محذرا أهل المدينة من ضياع المفاتيح؟!).

عوى الذئب..

ولم يوار البعير التراب. تركه يئن فالصحراء قبر البعير وفردوسه، أمه التي تواريه في ولادة ثانية، تدفن نفسها فيه، تتوارى باسطة رمالها لحافا إثر لحاف فوق جثمانه دون أن تجرحه بحفر جسدها له.. تغطيه بحجابها، وتضع الشاهد على قبره شمسا، وسرابا، وسكونا، ولهاث المسافرين!

ودع بعيره بندم وعاد!

مشى..

عيونه ترقب النجم، وتختلس من نوره دمعة!

صارت المدينة على مرمى عواء ذئب منه!

نفث حزنه متأملاً أبوابها من بعيد: (فجيعة المدن، أبوابها، وفضيحتها أيضا! والأبواب عيون الأمكنة، نبضها، وبهجة أفراحها..

والأبواب رفقة عُمر ما إن تمتلك مفاتيحها حتى تخلص لك الوصل بأقفالها، وبمزاليجها، وبالمسامير التي تعانقها، وبالخشب المتكئة عليه!).

تنهّد حين تذكر المفاتيح: (كيف يطرق الأبواب بعد أن أضاع مفاتيحها؟).

بكى..

كانوا ثلاثة: هو، والعبد، والبعير!

صاروا أربعة: هو، والعبد، والبعير والمفاتيح!

الآن.. لا أحد إلاّه أمام الأبواب بينما المفاتيح يلهو بها غيره..

اقترب من المدينة..

صار عواء الذئب أقرب من لهاثه، ورأى العبد يغلق أبواب المدينة أمام وجهه بمفاتيحه!

عوى الذئب..

وصفّق أهل المدينة للعبد وهم يصرخون: (يحيا عمر!).

الوَرَثة[1]

للبعيدين أخفض جناح الشوق من اللهفة، وأهمس شفيف صمتي؛ قتلني السر!

للبعيدين أسوق توق الفراش لمعانقة النار، وأبتدي بوح الحكاية، كاشفا الناموس الذي أتكتَم عليه؛ في أني لم أكن أحب العنب، وما كنت أرغب يوما في مقاتلة الناطور، غير أنهم أرغموني!

• • •

هكذا يترتب سرد ما حدث:

الأحمر الذي أتوق لرؤيته، لم تلوثه بشاعة الدم الذي كان يثيرني، فيتصبب عرقي، وأوشك على التقيؤ ما أن أراه يسيل حتى وإن كان كذبا على جسد ممثل، غير أني كنت أرسم هذا اللون في مخيلتي مُلفّعا بغلالة الورد، أو مبهورا بنشوة النبيذ، لذا فأنا أدخل الآن كهف الكلام مغمضا عيني كي أنحت ما أريد أن أرى رغم قتامة ما حولي من مسميات..

أبدأ طقوس كتابتي، فأقدح البوح بصوان حرفي كي أنير جزءاً من ذاك الظلام.. ها قد بدأت أرى، عيني إلى الداخل مقلوبة تسعى لاكتشاف كمأ الحكاية التي نفرت بعد أول ومض، فكان أول الدهشة

1 ـ القصة من مجموعة "موت لا أعرف شعائره" الصادرة عام2004م عن دار أزمنة للنشر في عمان، الأردن، ودار ميريت للنشر في القاهرة مصر

سؤال: كيف دخلوا إلى كرمي هنا؟!

كرمي الذي أحطته بالضلوع، والشرايين، والأعصاب، والنبض، والحلم، والذاكرة، والهجس، وحصّنته بصمتي الذي تعالت دلالته لتتساوى مع أعظم القديسين!

• • •

لم أكن أريد قتل الناطور، لكنني حين اكتشفت أنه لم يتبقَ عنب في الكرم، ولا نبيذ في الخابية، راقبته بشوق لمعرفته، لسبر كنهه، لرفع الحجاب عن بشاعة جشعه، وقرف نهمه، ودناءة رغبته في مصادرة الكرم، والتسلل إلى نبض صاحبه، ومحو ذاكرة مالكه!

شاهدته: حين يشبع ينام، وحين يجوع يبيع!

• • •

حملت خنجري، وقتلت!

• • •

أحاول الآن الحفاظ على صورة الكرم في الذاكرة كما هي حين صادروه..

أتوجه بكل إرادتي إلى صندوق رأسي، حيث الجمجمة التي تتكدّس فيها كل تجليات الماضي عن المكان الذي أحببت، وفيه نضجت..

صارت التفاصيل تبتعد قليلاً، قليلاً، وبات الرعب يخلخل جلال الكرم نقطة، نقطة، وأنا أحاول مرة الهروب، ومرة التذكر!

بيني وبين رأسي مسافة تكلست فيها الأفكار حائرة بين الخوف من

الآتي، وبين محاولة استعادة الكرم حتى ولو كان خاوياً من أي عنب، وخالياً من أي بشر!

• • •

الخطوة الأولى كانت تغيير اسم الكرم، لكني عرفته، رغم محاولة الغرباء، الذين كانوا يقلمون دواليه، ويعملون على تغيير تضاريسه..

الخطوة الثانية؛ لم تعد تهمني ملامح الناطور، لأنه لم يكن يظهر لي بعد أن قام بتأجير حقلي، وأخذ منه كفايته من العنب، ومن معتق النبيذ، فصار الغرباء يهتكون براءة الدوالي. ويتسللون بضجيج عبثهم إلى كل تفاصيل روحي فيمزقون نقاء دمائي باستفزازهم لي...

زادت سطوة الناطور، ومعه تجبر الغرباء، فتجاوزوا حدود الكرم باتجاه جسدي..

اقتربوا.. صاروا على مرمى همسة مني، وكنت أريد أن أواجه الغرباء، وأعاتب الناطور، لكنه، وقبل أن يتعالى حبل الكلام بيننا وجدته يشير إليَّ قائلاً لهم؛ منحتكم نبضه، وأقطعتكم ذاكرته!

اقتربوا أكثر، وابتعد الناطور عني حاملاً عناقيد العنب، وزقاق النبيذ!

تحولت ملامحهم إلى هيئة ذئاب، ونبتت لهم أنياب تسيل حولها خطوط دم بلون قان أكرهه، ولا أطيق مشاهدته أبدا.. خفت، فتراجعت..

هربت، فتبعوني..

عشرات السنين وهم يتعقبونني، بينما الكرم غائب عني، وطعم

العنب تغير، وتكرّش الناطور، ثم أقام في مسكني، وزادت سلالته أبناء من طينته، ومن معتق خمري..

بقيت أهرب، وأرقب لحظة يغفو فيها الناطور..

كنت أخاف على صندوق ذاكرتي، ومشكاة روحي من أن يصلها الغرباء بعد أن أطلقهم الناطور، كلاب أثر، ورائي..

أهرب، فيتعبون ولا أتعب، حتى نام الناطور وكان خنجري بيدي، فقتلته..

لم يتوقف الغرباء..

رأيتهم يضحكون كثيرا، ولم يبكوا حين فارقهم الناطور بل أحضروا ورثته ليكملوا أكل العنب بدلاً من أبيهم المرحوم، واستمروا في مطاردتي!

• • •

لا أرى أحدا..

كأني محبوس في تلك الزاوية من الشهيق والزفير فقط، وأتحرك في مساحة لا تتجاوز بصمة يدي..

الآن.. لا أريد العنب، ولا جثة الناطور.. هل أستطيع الاحتفاظ بصندوق ذاكرتي قبل أن يتقاسمه الورثة، أو يسرقه الغرباء!

الذبابة[1]

اعتقدت أني حرّكت يدي لإزالتها، لكنـها بقيت على أنفي.. راقبتها بكلتا عينيّ، جحظتها فازداد أزيزها!

مازلت مستلقيا في الفراش بعد طول نوم، إلا أنها مع بداية يقظتي أزعجتني.

(ازززز... ازززز... ازز...) وازداد أكثر هذا الأزيز بينما هي تستفزني بجلوسها على أنفي، حرّكت يدي لأبعدها، غير أني اكتشفت أن يدي اليسرى ليست في مكانها.. وأنها مبتورة!

راقبت الذبابة!

بخفة وثقة، أخذت تتحرّك على خارطة وجهي.. تجاوزت مجرى نهر دموعي النابع من تجويف العين، تجاوزت الأخدود أكثر وتسلقت جبال الخد شرقاً، ثم شمالاً باتجاه (غوطة) العين وقفزت لتعبث في سهول الجبهة!

حاولت أن أصفعهـا باليمين.. لكن لـم تتجاوب يـدي اليمين مع إرادتي، واكتشفت أنها مشلولة تماما!

(ازز... ازززز... ازززز...)، والازعاج مسـتمر لا يتوقف!

---

1 ـ القصة من مجموعة " الدواج" الصادرة في طبعتها الأولى عام 1996 ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق سوريا، والطبعة الثانية عام 2012م. من دار ورد للنشر في عمان. الأردن

كيف سأقاوم بينما اليسار مبتور واليمين مشلول؟! والذبابة لا تراعي مع وجهي الرحمة ولا الكرامة!

حاولت تحريك رأسي كله في جميع الاتجاهات لكن الذبابة كانت تتحرك معه.. بصقت باتجاه الأعلى فتناثرت البصقة على كل وجهي وهي عائدة من معراجها المبتور، وغطى البصاق وجهي بكل تفاصيله فاضطررت لإغماض عيني حماية لهما من لعابي النتن، بينما أخذت الذبابة تتحرك بحرية أكثر!

كيف سأتخلَص من البصاق الذي غطى وجهي؟!

لم تعد الذبابة هي المشكلة.. صارت أمرا واقعا وعليّ أن أتقبله شئت أم أبيت!

القضية الآن هي يساري المبتور ويميني المشلول، ووجهي الممرغ بالبصاق!

ضغطت على أسناني، واتكأت بما تبقى من قوتي على فراشي وقمت.. كان كل البيت ظلاما والذبابة تنتقل على خارطة وجهي من محيط شعري الأسود، حتى خليج شفاهي الجافة، ومن نهر عيوني المغمضة إلى بحر البصاق الذي غطى بقاياي!

باتجاه البيت سرت..

كان مشرعا للذباب، ولهروبي.. خرجت، فاستقبلتني أكوام من الأيدي المبتورة! عاينتها واحدة واحدة فلم أجد يدي اليسار التي فقدت!

حاولت أن أجد يدا يمنى بدل يميني المشلول فلم أجد!

كل الأيدي كانت ممسوخة بلا خطوط ولا معالم، مقلّمة بلا عظام ولا

أظافر. مموهة بلا عروق ولا ألوان!

من خلال البصاق الذي غشي وجهي رأيت كل الأيدي بإبهام وبصمة واحدة!

(ازز... ازز... ازززز...)

(ازز... ازز... ازززز...)

تمنيت لو أصبح ذبابة وأنا أكرر الآزيز وراءها.

شجرة فوق رأس![1]

كهل ينقل الموتى. ويبحث عن آخرين!

يمشي شرقا؛ ويبكي.. ينظر غربا، فتزكمه الرائحة.. يتأمل الجنوب والشمال؛ هي ذي الجثث مصطفة، بلا حياة!

لا نبض البتّة!

وكلما سحبته المسافة نحو أيّة جهة، كان يجد الظلال، ويعاين كثافة الكتل البشرية.. يهشّ لها، ويتلهّف للقائها.. يُقبل بشغف وباندفاع إليها، ثم يحضنها، كأنها ما تبقى من الحياة... كلّ الحياة!

لحظات، ويتبدد الوهم أمام الجمود، مكتشفا أن لا قلق فيها...

لحظات أخرى، ويحسّ برودة الكائنات التي يُقبّلها... فيتريّث قليلاً...

يمعن التحديق في الأجساد حوله:-(يتأمّل العيون، فيراها لا توحي بشيء... يعاود جسّ نبض الكائنات رامياً رأسه باتجاه أيّ حضن يصادفه... صارت كلّها واحدة، ببرودتها!).

يزداد افتقاده للحياة في كل ما حوله...

يصير الافتقاد فقدا دائما!

يتشمّم الأبدان، علّه يجد تلك الرائحة الدافئة فيها، ويتنقل برأسه

---

1 ـ القصة من مجموعة "شجرة فوق رأس" الصادرة عام2009م ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى في الأردن.

جاسًا بلهفته ذاك المذاق الشبيه باللون الأخضر، وتلك النداوة القريبة من لون الشجر، مع انتصاب مرن أمام هزّة الريح!

يضغط برأسه مختلسا السمع لنبض يعلن عن شيء في الأبدان...

يحاول نبش نسمة روح فيها، فيطرق الأجساد أمامه، ولا يسمع إلاّ ترداد الصدى في صناديق لا ينبض فيها إلاّ الفراغ!

يعاود البحث كرّة أخرى...

يحفر عميقاً في الأرض... فيلاحظها جدباء، فقيرة، ولا تنبئ عن شيء!

يتمتم لروحه: (حتى الأرض صارت بلا نبض!).

يفرك عينيه مذهولاً حين يكتشف ضياع النبض!

• •

كان العمر قد مضى...

وكان النتن يزداد، فتزكمه الرائحة!

تساءل بضيق: (أيّ مكان هذا الذي أنا فيه؟!).

فوضى من الجثث...

كلّ المساحات حوله موتى، وما من مكرم لها!

(من قال إنّ كلّ الموتى مدفونون؟!). تساءل وهو يرى الفوضى في الأدوار، والوهم، والفهم... كانوا جميعا يتحركون، ويمشون، بلا نبض، وكانوا ينتظرون إكرامهم!

• •

كهل. وينقل الموتى. صار!

احتار بفعة صامتة. فارغة.. وعارية إلا من التراب وما اختار الجثث التي دأب على نقلها إلى المكان.. كان يحمل. بعشوائية. أية جثة تصادفه.. وكانت كلها، أمامه. سواسية كأسباب حزنه!

• •

دائما كان يحوّم حول تلك المساحة كأنه يتعبّد بعضه فيها، وكأنه يراها جيلاً يورّث إلى جيل، بينما هو، كل حين، يعود إليها حاملاً جثة على كتفه. وما أن يصل حتى يكدّسها بجانب سابقاتها من الجثث، ثم لا يرتاح حتى يزرع شجرة فوق رأس الجثة!

• •

كهل، وينقل الموتى، كان!

والسنون بعدد الجثث... والشجر بعدد الموتى!

صار المكان متنزّها يرتاده الزوّار، مرّة كلّ أسبوع ملقين جثثهم وسط الغابة التي تنتظرهم. فتتذكر تلك الرؤوس التي تخفيها بين جذورها!

الرحى[1]

ينزّ القهر من شقوق الجدران . متربصا بك من جميع الجهات .

تستغيث . ما من مجيب . والخوف غيلانٌ تتراقص حولك . تضيق ذرعا بكلّ

شئ ، وتضيق بك الأشياء ، فتشيح وجهك عن الجدار .

راقداً في سريرك ، محاولا اجترار القليل من النوم . هباء ما تحاول . بَيد أن ذات الصوت يناديك : أَغمض العينين ... وارقُب . فتستسلم للصوت الآتي ....

• • •

تلك العروق المشدودة في يدها المتضخمة من احتقان الدم فيها ، والشفاه الظامئة العطشى مثل عينيها الكئيبتين ...

يتضح الآن الوشم على ظاهر اليد ، وفوق خارطة الوجه ، وهي تدير الرحى براحتها وتلقمها الحب بالأخرى ...

تُرى ، ما الذي تطحنه ؟....

• • •

---

1 ـ القصة من مجموعة " الرحى " الصادرة عام 1994 عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان، الأردن.

يوقظك صوت الساعة . فتجهد للتمييز بين عقاربها . لكن العقارب منطبقة . كسلى كأي حلزونة على جدار أملس . يمشي الزمن ، وتضيق حدقتا عينيك . فتصغر حولك الأشياء . ينقص نصفك . يبقى الربع . ثم تنسج الظلمة غلالتها . يشتدَ صوت الرحي ، ويُوشك اللون الأسود أن يُغطّي الرؤى في منامك . لكنك لم تنم . ويزداد صوت الرحي . فتجهد نفسك كي تخرج من إغماضتك ، والصوت يزداد كلما أوغلت في الظلمة . تضع أصابعك في أذنيك ، فيزداد الصوت ، ويكبر كما دُمّلة ...

• • •

تفتح عينيك ، فيغمرك الضوء ، وتضيق حولك الأشياء . تنهض ، وتحفّز نفسك للخروج ، فتُحدّق فيك الكتب . تُحسّ بها تُخرج ألسنتها هازئة بك ، تقترب ، وتدور حولك . تضيق حلقتها شيئا فشيئا . تحاصرك في المنتصف ، فتصرخ فيها محموما ... " أضاعوني وأيّ فتى ... " . تضيق حتى بالشعر . تمسك حذاءك . وإذ تضعه في قدمك ، تشعر أنه لا يتسع لها ، ويوشك أن ينفجر . يضيق فيكتم أنفاسك . يُراودك خاطر فتضحك في القرارة... (للتنجيم ، وقراءة الكف ، والفنجان بديل الآن ..) . لماذا لا تكون القراءة في الأحذية ؟ ...

تُعجبك الفكرة ، والبصارة جالسة أمام حذائك ، تنظر (والخوف بعينيها) . وحذاؤك يضيق ككلّ الأشياء . تَودّ الخروج ، فتنظر للخارج من النافذة وتُحسّ بها تتقزم وتضيق لتُصبح كالعين السحرية في باب المنزل . بل أصغر من ثُقب . تحاول النظر للشارع بما فيه من ناس من

حلالها . فتحتار . بأي العينين

ستنظر . باليمنى .. لا . باليسرى ... فتُغمض العينين ، ويحاصرك صوت الرحى ....

• • •

يزداد الدوران ، فيرتفع الضجيج ، ويزداد حجمها كلما أوغل فيها الزمن رحلته وتزداد القبضة على الرحى . والوشم يُعاد تشكيله في كل دورة . والقبضة الأخرى تُلقم الرحى ... ترابا .

صراخ الرحى عويلٌ جنائزي ، والشياطين فيه تعزف لحن الخطايا ...

• • •

تفتح عينا ، فيخفّ الأنين ، ويضيق الأفق مختزلا نفسه بعود ثقاب . وتفتح الأخرى فلا ترى سوى الجدران ، فتخرج من الباب الخلفيّ .

يزداد ضيق الحذاء فترى الشوارع سراديب ، فتدلف فيها ، والحوانيت دمامل تفيض بالأسئلة .

يصطدم بك شخص يسألك : عفوا .. من أين الطريق إلى ...

تحسّ بجسدك يتصبّب عرقا من شدة لهاثه . تراقب بدانته ، فتضيق ذرعا بربطة عنقه التي يلبسها ، وتلعن ضيق حذائك .

يُعيد السؤال ، فتُشير بإصبعك سريعا إلى أعلى . تستدرك بإشارة معاكسة إلى أسفل . تحتار ، فتُغمض عينيك بسرعة لتتذكر ... فيحاصرك صوت الرحى .

• • •

ها قد بدأت تلقمها ترابا أكثر . وهي تنظر إليك بعينين ملؤهما الحزن والشفقة .

قالت : لكم أنت تنسى ..

وأكملت دوران الرحى – استمر المَرَدة في جوقتهم الصاخبة – والوشم يزداد قتامة مشرّبة بالضجيج . عبثا تحاول الإجابة . وتفتح عينيك لتعتذر ، لكنه كان قد رحل . تكرّر السؤال لروحك : من أين الطريق ؟

تلتفت باحثا عن الرجل ، وتسير محاولا اقتفاء أثره . لكن الطريق أمامك تستمر في ضيقها ، والنوافذ تبقى عيونا سحرية . وكلّما رَفّ جفنك . يبقى يُحاصرك صوت الرحى ...

لعنة الماء[1]

طبع الغريب ألاّ يثق باليقين... إذ لا يقين يقنعه! لكن الهاجس كان أكبر من اليقين: (ما الذي يجعل الجدران تنمو أمام الرؤى أشجارا من المرايا تخدع. ولا تنبئ عن ذاتها؟!). الغريب نفض رأسه، فتناثر عنه الماء...

كان يمشي تحت المطر، بينما عشّ الدبور في جمجمته أسئلة لا تنتهي، والمطر غزير، والغريب لا يبوح بآثام فكره إلاّ ساعة يهمي الماء غاسلاً الكلام والعبث والضحك على الذقون!

لاحظ الغريب هذا منذ سنين بعيدة...

وربما كان السؤال والحديث مع المطر هما ميراثه الوحيد عن أجداده... الماء ثرثار، والماء يحثّ من يتلبّسه على أن يثرثر مثله، يغويه، يسحره بتعاويذه وبرقيّه، يمسسه، يلمسه كأنه الجنّ فيصير عبداً أو قريناً له ما أن تسقط أول قطرة مطر.

ازداد هطول الماء (مزرابا) من السماء... والغريب يستقبل الوابل، كل قطرة منه ترتطم به فتحفّزه، تسقط عليه، تلدغه، تثيره، تدعوه للبوح، وهو لا يقاوم!

---

1 ـ القصة من مجموعة "شجرة فوق رأس" الصادرة عام2009م ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى في الأردن

الماء سرّ الأرض...

والمطر رسول السماء... بينما وجدان البشر معلّق بين ماء الحجر وزخّ المطر، بين ثغر الثرى وضرع الأعالي!

يحدّق الغريب بخيوط السائل المسكوب من الأعلى، يتعداه فيرى مروحة كبيرة مثل الشمس تهشّ على مياه الأرض ساعة رخاءٍ وصيف فيتسلل الماء في عروج خاشع باتجاه الفضاء حيث تمسك القطراتُ أيادي بعضها، تتجاذب أجسادها. تتكاثف بنياناً واحداً لتتشكل مستوطنة الماء في السماء سحاباً ينبض بالشوق للعودة مرّة أخرى لرحم الأرض!

الماء راهب الأرض والسماء...

عميل مزدوج لكلا الطرفين... جاسوس حسن النية؛ لا يستطيع نكران الأعلى ولا التخلص عمّن هم في الأسفل!

يزداد شوق السحاب إلى الجذر الأول: (في البدء كان الماء طفلاً يحبو في مهد الأرض...). يتشقّق السحاب لهفة للعودة، فينزّ رذاذا شارخا مرآة السكون والصفاء، ثم تتشظّى المرآة (كسرا) و(نتفا)، وبعدها تصير سكّرا من ماء أو سمسما من بَرَد يتساقط هائما باتجاه حضن الأرض.

الماء يهمي...

صوت ارتطامه بالجدران والأجساد والتراب يوحي بتشكّل النقوش ويذكّر الغريب بوصية الأسلاف عن المطر وهذا المكان... (المطر يحفظ الأسرار... وهذا المكان سر!). كانت هذي هي الوصيّة، غير أنّه كان

في شكٍ من كلَ الأشياء.. تساءل: (هذا المكان سرّ؟! أيَ سرٍّ فيه؟!).
أخذ يذرع الأمكنة تحت وطء المطر وهو يهذي بالأسئلة إلى أن جاءه الجواب زخة سريعة من المطر سمع من خلالها الكلمات: (هذا المكان سرّ... ليس ككل الأمكنة!).

اعترض محتجًا على القدسية التي يضفون هالتها على المكان: (هذا المكان سر؟! أيَ سر في أشباه الأمكنة؟! المكان، والزمان، والكائنات، وكل الأشياء هنا هي أشباه، والسر يحتاج إلى كمال وتمام. . . ولا سرّ في الأشباه!).

انقطع المطر فجأة...

توقف الغريب عن الثرثرة، وأحسّ بأن أشياءً تتغير بسرعة وكأن انقلابا شيطانيا فرض نفسه بلحظة على الطبيعة!

تأمّل السماء...

كانت الغيوم تزداد تراكما وقتامة.. حاول أن يفكر بصوتٍ عالٍ كما كان قبل قليل تحت مظلّة المطر.. لم يستطع!

لاح ضوء البرق، ففرح.. إذن بعد البرق سيأتي الصوت. البرق سوط بيد فارس يضرب بقوة ظهر حصان الفضاء فيُستنفر، يفزّ مسرعا، يرتفع صهيل الحصان متّحدا مع لسعة السوط ليأتي الرعد جامحا.. ثم يأتي المطر!

فرح الغريب..

لكن الحيرة أسرته: (لماذا انقطع المطر دقائق معدودات ثم نكص عائدا؟!

هل الاحتجاج على السر أغضب حافظ الأسرار؟!).
داهمه الهاجس: (هل غضب الماء مني؟) .. ازداد خوفه!

همى الماء..
هذه المرة جاء قوياً، ثقيلاً، وحازماً كقائدٍ تتري.. لامست قطرات المطر رأسه، سحّت على وجهه وداعبت شواطئ شفتيه.. تذوّقها، لم تكن مثل المطر السابق. تذوّقها مرة أخرى.. كانت شيئاً بين الماء والتراب والهواء، مالح طعمها، فيه لذعة الكبريت.. كانت القطرات شيئاً أشبه بالماء، وأقرب إلى الطين، فيها الكثير من الملوحة!
حدّق باتجاه خيول السحاب.. تساءل معاتباً: (هل بدأ الغشّ في المطر أيضا؟! أم صار الماء من أشباه الأشياء كغيره؟!).
أحسّ بأن الغضب اكتمل الآن..
(الماء لا يقبل الحوار). قال هذا وهو يتذكر وصية أخرى قديمة كانت منقوشة على حناجر الكهول وفي قلوب رجال الله الصالحين: (إذا دبّ الصدأ في الماء.. فانتظروا البلاء!).
أخذ المطر يتضح أمامه؛ قانياً مثل الدم، قاتما ككشرة الظمأ.. تأمل فضاء المدينة فرأى السماء وجهاً غطّته البثور والدمامل وما عاد أملسَ كالزجاج.. كانت سماءً شبيهة بالسماء التي يعرفها!
الغريب شعر بالغربة أكثر..
ميراثه البوح للماء والأسئلة... صار الآن مقطوعا من الإرث، لا شيء معه، مفلسا حتى من الأسئلة بعد غضب الماء هذا!

اتضحت شُبهة الأشياء..

دبَ الصدأ في الماء، وانقطع الحوار... تخلّى عنه الميراث، وأنكره الماء فابتعدت عنه ألفة الأسئلة، وهمسات القطرات، وثرثرات (فرخ) الجن عبر الرذاذ، ونقوش الوصايا من خلال الزخّات الحميمة... تخلّى عنه الميراث! أحسّ الغريب ببعد الكائنات عنه. أما الجمادات فكانت هلاميتها تعتّم عليه الرؤية وهو يذرع الدروب ولوجاً في شُبهة الأشياء في هذه المدينة بعد أن أصابتها لعنة الماء!

عدّ على أصابع يده: (واحد.. اثنان.. ثلاثة...).

سكت قليلاً ثم أكمل حتى الثلاثين، بعدها باح حزنه للمطر: (نعم.. ثلاثون عاما هي عمر إقامتي، غربتي، وقبلي كانت غربة أجدادي، وما مات واحد منهم إلاّ وكان محفورا على شاهد قبره علامة استفهام، وسطر يفيد بأنه جاء إلى هذه المدينة وخرج منها وهو لا يعرف منها شيئاً.. المطر ذاته.. الشجر ذاته.. وتكشيرة الكائنات ذاتها.. بل حتى احتجاج الدواب في هذه المدينة منذ أوّل نبش في ترابها هو واحد.. مدينة لا تنبئ بشيء!).

حاصره حضور وصية الأجداد في ذهنه: (إذا دبّ الصدأ في الماء.. فانتظروا البلاء!) غاب في الوصية، ضاع في حضرتها، صارت دوامة تحاصره، تتعقبه، تضيّق عليه المخارج حتى دبّ فيه الوهن وتداخلت أرجله في بعضها فزلّت قدمه واقترب كل جسده من الأرض حيث تماهت أمام عينيه الدروب والأرصفة، تداخلت في بعضها.. قال وهو يقيل عثرته: (أين الدرب؟ بل أين الرصيف؟!). حاول أن يجد الخطّ

الفاصل بين الرصيف والدرب فأخطأ.. أمعن النظر علّه يجد خيطاً (حزّاً). علامة ما تبيّن الفارق بين درب مشي البشر من درب مشي العربات والقوافل والدواب...

لا فرق!

كانت أشباه الأشياء هي الصفة الغالبة، ورأى المواشي والعربات والبشر والزواحف والشرفاء واللصوص والحشرات، كلها تمشي على ذات الدرب الرصيف.

(ما الذي يحدث؟!)

تساءل الغريب بدهشة، وصار يهلوس مع روحه: (هل كل ما كان يراه فيما مضى من العمر هو حقيقة مخطوءة؟!.. أين الخطأ من الصواب؟!.. لا المدينة مدينة ولا الدروب دروباً.. كلها أشباه.. لماذا؟!).

تنصّت للمطر علّه يوشوشه جوابا، لكن الصدأ كان يزداد في الماء الملون الذي ينزّ من (ثواليل) الفضاء. خاف أن يداهمه الضباب من أيّة جهة لا يدريها بعد أن تشابهت عليه المدينة.. ازداد نبضه، وأحسّ بجفاف حلقه.. كان يعلم أنّ الماء إذا غضب صدئ، وإذا صدئ حشد كل جنوده ليسقط غريمه الذي تحداه، والضباب هو عسس الماء وخفاؤه، وسنارته التي يصطاد بها من عاداه!

لاذ بالصمت...

لم يكن يريد أن يتحدث أو يفكر أو يبدي أيّة ردّة فعل... الصمت حرز الحيران، والصمت حديث الملائكة، ورجاء الخائف، فلجأ إليه

متكئا على حكمة الغيب!

كان يريد أن يسمع ردّ الماء، لكن لم يأت جواب، بل أخذ التشويش يزداد في خاطره وصارت جنادب من أصوات لا يميّزها تداعب خبايا ذهنه!

ما كان صمتا كاملاً ولا حديثا أو كلاما!

لم يكن سكونا ولا تشويشا كاملاً... كان شبيهاً بكلّ هذه المسمّيات وليس شيئا واحدا بالتحديد!

أخذ الغريب يصرخ ليبدّد هذا الشبيه الذي بات يزعج غربته، لكنه لم يشعر بأن أحدا ما سمعه... حاول أن يتكلم ليؤنس شبهته فجاء الكلام هذرا يخرج من فيه لا ينبئ بشيء.. كان شبيها بالكلام وليس هو!

بقي المطر ينفض الأمكنة.. قانيا كالدم، قاتما ككشرة الظمأ.. والغريب بقي هاجسه أكبر من يقينه، ميراثه ماء صدئ يتنزّل من سماء غطتها (الثواليل)!

الرحمة[1]

حين حاصروه بالتهديد والوعيد قرر الإضراب عن الكلام احتجاجا على قمعهم لمسير حديثه !!

كانوا متناثرين على مقاعدهم في أرجاء المقهى يستمعون إلى الحكاية . وفجأة ارتفع الضجيج عاليا.. وصمت هو !!

جميعهم قالوا : (اختصر واعطنا الأسباب سريعا: كيف حدث هذا؟).

لكنه اعترض محتجًا بأنه وحده من يتحكّم بسير الحكاية، ولا يستطيع أحد أن يرغمه على تغيير أقواله. أو القفز عن بعض التفاصيل

• • •

كانت السهرة قد بدأت مبكرا تلك الليلة..

والليل بداياته دائما قاتمة كحبر الحكاية، وهشّة كصوت الحكواتي حين قال: (لم تبك الجمال إلا مرة واحدة!!).

كرؤيا نبي جاء حديثه هذه المرة، ولم أكن من ثُلّة روّاد المقهى، بل كانت نافذة غرفتي تطل على (حوش) المقهى، حيث يتبخّر الكلام معتقا عبر عروق الدالية والياسمينة باتجاه الفضاء وأذني.

مختلفا عن كل الليالي السابقة كان الحكواتي... وحديثه كان مختلفا

---

1 ـ القصة من مجموعة " الدواج" الصادرة في طبعتها الأولى عام 1996 ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق، سوريا، والطبعة الثانية عام 2012م، من دار ورد للنشر في عمان، الأردن.

حتى لا مناص من الاستماع له رغم أن المذياع يرقد في حضني مثل كل ليلة. بديلا عن المقهى والحكواتي والمستمعين ..

(حديث الليلة مختلف عن الأمس).

أشار إلى ذلك مبديا خطورة الموضوع قبل أن يبدأ فاحترت بين أخبار المذياع وحكاية الجمال .. ترى كيف تبكي ؟ من فتح نوافذ دموعها ؟! من ؟!

• • •

- (المجاعة تجتاح شرق البلاد !!) قال المذيع.

وارتفع صوت الحكواتي: (أقسم أن الجمال بكت مرة واحدة، مرة واحدة!!).

أما أنا فأذني اليمنى مستسلمة للأخبار بينما اليسرى أسرتها الحكاية.. من أأتبع إذن اليمين أم اليسار؟! الحكواتي أم المذيع ؟!.

حديث الجمال أم الأخبار؟! ملعونة هذي الخيارات؛ دائما لابد من الاختيار!! لكن كيف بكت الجمال؟! هي تبكي مثلنا ؟! غريب هذا .. أتجوع ؟! ربما .. غير أن سنامها يكفل لها ألا تموت جوعا، وألا تبكي .. أتعطش؟ .. هذه أضحوكة أخرى، فالجمال سفن الصحراء ولا يبكيها الماء!!.

هل أبكاها التعب؟ المشي؟ البر؟ الحر؟ .. ماذا إذن؟!!

• • •

- (الطوفان يبتلع غرب البلاد !!)

صرّح بهذا المذيع. ولم تتحرّك شعرة من جسدي
ما سرّ تلك البَلادة التي تصيبني الآن تجاه البلاد؟...
هل هو اليأس من كل شيء فيها، وأن لا سبيل لإصلاحها أبدا!!
- (يا سادة يا كرام. يا سامعين الكلام. صلوا على سيد الأنام..)
واسترسل الحكواتي في حديثه.. كان حديثا شائقا، كئيبا .. وكانت الجمال. مع كلماته. تسير مهيبة، شامخة صابرة ومكابرة. ثم بسرعة تخلخلت رتابة الحكاية وكاد يبكي الحكواتي: (وأعوذ بالله من بكاء الجمال .. أعوذ بالله!!).

ازداد الضجيج كذلك ..

أصواتهم ارتفعت فوق صوته، لكنه رفض الخضوع وقرر الإضراب عن الكلام.

كان يجب أن لا يقاطعه أحد!!

مَن من هؤلاء الحمقى يعرف قصة الجمال؟! من منهم يعرف متى سيأتيه الدور ليبكي .. أو متى سيموت؟!!

مجانين.. كلهم مجانين صامتون، ولا تأتيهم الثرثرة إلاّ في المقاهي حيث مأوى العاجزين ومبكي العاطلين .. وحده الحكواتي من يعرف ويجرؤ على الكلام !! وحده من يشهد ضد المجرمين !!

• • •

لم يصمت المذياع ..
- (شمال البلاد اجتاحه الطاعون !!)
تأملته وتمنيت لو أكسره حين امتنع الحكواتي عن الكلام، (مهزلة)

كل ما يذاع.. هل يستخفون بعقولنا؟!.. إذا بكت الجمال، فماذا سيبقى من البلاد؟!!

- (والله لولا أنها أمانة في عنقي ما تحدّثت، لكنها الأمانة، ودموع الجمال التي لا تغفر.. لا تغفر أبدا!!)

بهذه الكلمات عاد الحكواتي إلى الحكاية. بعد أن رجوه، واعتذروا منه: (نحن جهلة وجبناء .. وحدك من يعرف كل أسرار المجرمين، وبكاء الجمال، ودموع الرجال.. وحدك أنت. فاغفر لنا ..)

صمت قليلاً قبل أن يكمل .. وأعلن المذيع: (حذار... جنوب البلاد يهاجمه الجراد !!)

تنحنح الحكواتي وأضاف: (وأعوذ بالله من القهر والفقر، ثم أعوذ بالله من الشقاء والبكاء.. ومن القيد والأغلال، ومن دموع الجمال ...

أما بعد .. فحين دمدمت عليهم بدمعها كانوا قد اعتقلوا كل حبالها، وربطوها بذيل أحد الكلاب .. هكذا أراد صاحبها !!)

ارتفعت صافرات الدهشة من أفواه المستمعين ..

قال كذلك: (ثم وخزوها بالرماح لتسير وراءه، فما استطاعت إلاّ أن تبكي!!)

ضرب بعضهم كفا بكف، وطأطأ كثيرون رؤوسهم وارتفعت أصواتهم بالمداخلات المنكسرة: هذا آخر المطاف: بذيل كلب تربط الجمال!!

- ذيل الكلب دائما أعوج!!

- لعنة الله على هذا الزمان ..

- البكاء قليل إذن!!

- كيف لم تمت قهرا بعد كل هذا؟!!

- يا حيف على الجمال وصبرها .. يا حيف!!

- أعوذ بالله من بكاء الجمال ومن دموع الرجال!!)

أعلن المذيع فجأة بصوت حزين هارب: (الآن، البيان الأخير: الخطر في كل الاتجاهات .. الجوع شرقا، والطوفان غربا.. الطاعون شمالاً، والجراد جنوبا .. ما من مكان ليس فيه بلاء .. وشيخ البلاد أفتى بأن تعتصموا بدعوات الرحمة، لأن الرحمة على الأحياء مثلما هي على الأموات .. جائزة!!)

كان لابد من أن أغلق المذياع، فكسرته قائلاً: (متنا منذ سنين قبل هذا البيان!!).. في هذه الأثناء كان الحكواتي ينطق آخر الحكاية مثل نبي في خطبة وداعه.. قال: (الآن أديت الأمانة، فالرحمة على الجمال. والدور قادم على الرجال.. ولكم من بعدها كل السلام.. فعليكم سلام.. عليكم سلام!!)

واختفى صوته فجأة .. وازداد نواح المستمعين!

المُرَقّطون (1)

رمى عصاه بيننا .. ومضى !!

فصارت أفعى، وبدأت بالتكاثر سريعا. أفاع بنفس الشكل واللون والصوت.. احتلّت حوش البيت، ثم دخلته وانتشرت على النوافذ والأبواب... اقتحمت المزاريب والجدران... وزحفت على العتبة، وفوق الرفوف... فتحت المطبخ والمرحاض وغرفة النوم... ثمّ تمدّدت فوق عباءة الجدّ وعلى عقال الأب !!

• • •

كنّا نراقبه حين رمى عصاه !!

وراقبناه كذلك عندما رحل ...

قال: – لي نصف البيت ولكم النصف.

قلنا: – لا ... بل لنا الكلّ، ولك الدرب المؤدي إلى البعيد بلا عودة.

قال:– سنرى !!

وكرّرنا لاءاتنا ثلاث مرّات: أن لا نتحادث معه، ولا نتنازل له عن النصف أو الربع، ولا نعترف بعصاه ... ضحك ... وقال هازئاً بنا:

سنرى... والآن إليكم معجزتي !!

---

1 ـ القصة من مجموعة " الدواج" الصادرة في طبعتها الأولى عام 1996 ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق: سوريا. والطبعة الثانية عام 2012م. من دار ورد للنشر في عمان الأردن

رمى عصاه فصارت أفعى !!

وأخذت تسعى مقتربة منا: تقترب شبراً فنتراجع متراً.. واختبأ كل واحد منا في غرفة من البيت، بينما صارت الأفعى اثنتين ثم أربعا. وأخذت تتضاعف وتقترب!! من تبقى منا بقي يقاوم أثناء تراجعه البطيء حتى العتبة !!

وكنا على كثرتنا، في البيت، قلة ...

قال كبيرنا:

بأسناننا .. بأسناننا سنمزق الأفاعي إذا اقتربت أكثر !!

وقال صغيرنا:

سنجعلها طعاما لقطط الشارع !!

وقال باقي من في البيت: تجوعي أيتها القطط !!

• • •

حين اقتربت الأفاعي من عتبة البيت واصلنا تراجعنا ... ولجأنا إلى الداخل، فبقي الباب مشرعا للزواحف الوافدة حيث انتشرت في كل الغرف، وفي خزان الماء، وسلة الخضار، ووقود الشتاء !!

عندئذ قال كبيرنا:

الحوش والبيت مقابل الاعتراف بهذه المعجزة!!

وقال صغيرنا:

سنقاوم حتى آخر عود ثقاب في البيت!!

وقال باقي من في البيت:

سنجعل من جلود الأفاعي منافض لسجائرنا !!

• • •

خفنا... فتجمعنا على قلق وعتاب !!

وحين جعنا تأبط كل واحد منا رغيف خبز. بينما الآفاعي تتحرك ولا تتراجع..

خفنا ... والخوف عيون بلا نظر. وثقوب آذان بلا سمع !!

والخوف ترجمناه ثرثرة، وجوعا، ودفنا في غرفة واحدة حشرنا بها أنفسنا بعد أن ضاق بنا (أوضاع منا) البيت على سعته !!

• • •

صلّى كبيرنا باتجاه الغرب طلباً للعون.

وبدأت ملامح صغارنا تتغير، بينما فحيح الأفاعي يصلنا من الغرف الأخرى!!

أخذت كذلك أصواتنا تتماوج شيئا فشيئا مثل أمواج صوت جيراننا المرقّطون، وعندما رأت نساؤنا الأفاعي تجوب هنا وهناك (تَوَحّمنَ) بها، وصارت تفاصيل وتقاطيع أطفالنا مختلفة.. حتى ضحكهم صار مختلفاً !!

في الهزيع الأخير من الليل قام كبيرنا وصلّى ركعتين تقربا من الغرف المجاورة، وكان صوت فحيح صلاته يصلنا واضحا !!

سلّم يمينا، وهزّ رأسه ...

سَلّم يسارا، وابتسم هازئا ..

قام واقترب من باب الغرفة المؤدي إلى بقية البيت وكانت الأفاعي في حركة نشطة هناك !!

قال كبيرنا:

أحاورهم، وبعد ذلك سيأتيكم الخبر الأكيد!!

قال صغيرنا:

وماذا عن اللاءات التي أطلقناها في اليوم الأول؟!

تساءلنا جميعا:

من أين سيأتي الخير؟!

فتح كبيرنا الباب. ودخل إلى الغرفة الأخرى بعد أن نسيه مشرعا. فانسلت الأفاعي زاحفة بيننا؛ وكان جلدها ناعما والليل ظلامَ مُرقط بفحيحها!!

سمعنا ضحكة من الغرف المجاورة قبل أن يعود!!

• • •

قال كبيرنا:

صلّوا كما رأيتموني أصلّي!!

وقال صغيرنا:

أمازالت الحرب خدعة؟!!

قلنا جميعا:

أطفالنا أكبادنا تزحف على الأرض!!

وكانت الأفاعي تتسلّق الجدران والصور، وتتحرّك في كلّ زوايانا بعد أن أحسسنا بالألفة معها!!

تأملنا كبيرنا حين عاد وتمدّد بيننا حيث اختفت قدماه ويداه، ثم تساقط شعره، وصار رأسه دقيقا كرأس قلم فارغ. وعندما فتح فمه

لم يتكلّم ... تأملنا حركة لسانه، كانت سريعة، دقيقة، وكان لسانه كشعرة أفعى بشعبتين!!

أحسسنا بأنه منّا ولنا، وشعرنا بالألفة معه!!

لم يتكلّم أحد منا، وكان ملمسه ناعماً طرياً!!

لم يتكلّم أحد منا...

وحين تأمل بعضنا بعضا، كنا جميعا نخلع الثوب الأوّل ونزحف.. نزحف... ونبدّل الثوب بآخر جديد ولكنه مُرقّط بالبياض... البياض فقط!!

قـداسـة[1]

أحب حجرا، فنقله معه!

كان يدري أن لا حول له ولا حضور، ويعلم أنه لا يضر ولا ينفع، ولكن بلا إرادة منه صار يحمله بين يديه أنّى سار، وحيثما اتجه، حتى ما عاد أحد يراه إلاّ وهو يتلمّس الحجر ويداعبه كأنه رفيق حميم!

في البدء استهزأوا به...

قالوا: (أي مهووس هذا الذي يترك البشر ويعشق الحجر؟!).

وكانوا يضحكون من طريقته في تحسّس نتوءات حجره الذي كان يطنب في وصفه. كلما سألوه عن سر قداسة الحجر: يسرح بعيدا ويجيب: (مهيب. جميل. وهو مرجع البشر والشجر: حجر. جدّه التراب، وأبوه الطين، وأول جذره غبار وماء... روح من غائب علم النبض. حجري!). ويكثر في الوصف. كأنه ملاك أسراره وحافظ ناموسه!

يبتعدون عنه، ويبقى هائما في ذكر محاسن حجره!

• • •

---

1 ـ القصة من مجموعة " شجرة فوق رأس" الصادرة عام2009م ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى في الأردن

مرة، رآهم متحلقين حول صخرة يريدون زحزحتها...

تأمَل العرق وهو ينزَ من جباههم، واللهاث، وهو يحرق شفاههم!

ضحك كثيرا، فالتفتوا إليه...

أشار لهم إلى أن يَنفضّوا من حول الصخرة... واقترب منها!

وضع حجره على الصخرة، فابتسموا...

أخذ يطرق الصخرة بالحجر... فاندهشوا!

قال: (تأملوا فعل الحجر).

وأكمل الطرق، فأخذت المساحات التي يلامسها الحجر بالتفتّت حجارة صغيرة، توائم تشبه كتلة الحجر التي بين يديه!

تساءلوا: (أيّة معجزة تسكن الحجر؟!).

استعادوا صورة الصخرة حين كانت باشقة، سامقة، وطاغية ككهل يحلم بأبد الخلود... وأخذوا يتذكرون الحجر أيام كان بين يديه وادعا، ساكنا، كعصفور يشكو من طول السكون!

همسوا بلا إرادة: (سبحان رب الحجر!).

تهافتوا إليه شاكرين، فوضع الحجر أمامهم، وأشار إليه منبّهاً: (لا تكلّموني.. واستنطقوا الذي كنتم عنه غافلين!).

تلمّسوا الحجر، وهم يتقربون منه بدفء اندهاشهم!

تأمّل طوافهم حول الكتلة الصماء، فابتسم، وتداعت في ذاكرته ملامح وجوههم الساخرة منه في أول طواف له بالحجر بينهم... همس لروحه: (الله، كيف تدور الابتسامات على الشفاه كما الأيام!).

تلمّسوا الحجر باستلاب، فأخذ يكبر ويتضخّم من كثرة مدحهم له،

ولمسهم لسطحه. وتقبيلهم لاستدارته... صارت النتوءات تنمو على جسده، وتتشكّل أيد. وأرجل، ورؤوس، بدل أن يصير أملس مصقولا كجدران البيوت!

بُهتوا مما رأوا، فصاروا يصرخون من هول المعجزة: (حجر ويكبر!).

اقترب من حجره، وحمله مثل طفل بين يديه...

حدّقوا به...

قال وهو يشير إلى الصخرة: (من أراد منكم حجرا فليتبعني؟!).

تبعوه. قطيعا من الحجّارين...

رفع حجره عاليا، فارتفعت أعينهم معه كأنهم ينتظرون برق البشارة من بين أصابعه!

صفقَ الصخرةَ بالحجر، فصفقت عيونهم وقلوبهم الصخرة معه!

تأمّلوا الأثر، فرأوا شقًا على ما تبقى من مساحة الصخرة.

نظر إليهم، وزجرهم قائلاً: (لم ترضوا الحجر بكامل قلوبكم، ولم تؤمنوا به بكل حضوركم، فامتنعت الصخرة أمامه. وأبت!).

تدافعوا بلهفة، وأخذوا يُقبّلون الحجر، ويتلمّسونه، ويصفّقون له، ويصرخون ممجّدين بقاءه، فزاد حجم رأسه، وأطرافه، واتضحت أمامهم على فمه كشرة لا تسر الناظرين!

أخذتهم الرهبة، فخرّوا للحجر ساجدين...

خافوا، فانكمشوا متكتلين على بعضهم، متقاربين ومتراصين خشية سطوة حضوره!

صاروا يدعون للحجر بطول العمر وبالبقاء، فاكتمل الرأس

والأطراف. وباقي الجسد. واستوى أمامهم عملاقا أعظم من كل أحلام نومهم...

ازدادوا خوفا لمّا رأوه، وتلاشى نبضهم وهم متراصون كالصخرة أمامه...

تركهم جامدين، والتفت إلى الصخرة التي فتّتها... تأملها ومدّ لها يدا، فصارت تنبض.. لمسها، فتشكّلت أجسادا برؤوس وأطراف...

ابتسم لها. فنهضت وتبعته بإجلال، أمام جحوظ أعين الأجساد المتحجرة خوفا!!

نحت آخر لتمثال "المفكر"[1]

شاهدته في باريس..

بالتحديد في ساحة متحف روذان.. تأملته وهو يستقبلني في أول زيارة للمكان: (ملقيا ذقنه على ظهر كفه، وعيناه سارحتان في تأمل الخلق أمامه!).

كلّ يوم يمرون قبالة نظره، كأنهم يستعرضون حضورهم، أو يتفقدون حقيقة حياتهم على مرأى منه.. وكان دائم التحديق بهم. يجاري بانتباهه، دفق تحركهم على مرمى انكسار الظل أمامه، راصداً، ومراقباً، من موقعه كل المدينة: (البشر، الحافلات، الشجر، أسراب الطيور، الغمام، شعاع الشمس، زخّ المطر، ملابس النساء، عبق العطور، لهاث السكارى، ثرثرة السياسيين، المومسات، واجهات المتاجر، المثقفين، الباعة، المتسكعين،....).

يتابع كل الأشياء، حتى ضحكات وتعليقات حراس بوابة المتحف الذي يقبع في الحديقة الأمامية له منذ عشرات السنين، على نفس الهيئة، وفي ذات المكان، ملقياً ذقنه على ظهر كفه الذي يشبه كفّ "أطلس" في رسوخه تحت ثقل كرة رأسه!

●●●

---

1 ـ القصة من مجموعة "مرت لا أعرف شعائره" الصادرة عام2004م عن دار أزمنة للنشر في عمان الأردن. ودار ميريت للنشر في القاهرة، مصر

-(ماذا يتأمل؟!
أيَة أسرار تتكدَس داخل هذا الرأس؟!)
وتساءلت أيضا: (لماذا أطلق "رودان" على هذا التمثال اسم "المفكر"؟! لقد ظلمه كثيراً!!)
التفت حولي حين وردت في خاطري كلمة "ظلم" هنا، لكن التمثال سمعها دون أن أنطقها، وشعرت بحركته فجأة، فتراجعت خطوة. وأحسست بجموع الزوار يتأملون التمثال مثلي، وكأنهم شعروا بإشفاقي عليه. وسمعوا كلماتي التي همست بها إلى روحي!!

•••

راسخ في ذات المكان مذ شكّله خالقه أوَل مرَة، غير أنه مختلف الآن!!
لاحظه الزوار مشرقا أكثر. وكأنما البرونز أخذ لون الجلد. فدب في جموده الدفء.. أية ومعجزة هذه؟!
صعقوا حين لاحظوه يتحرك بعد طول سكون، فازداد عدد المتجمهرين حول التمثال..

•••

- (لم أعد وحدي..).
قلت هذا وأنا أشعر بالفرح لما يحدث، وكأن الرأس بحركته البطيئة يقرّ بإشفاقي عليه، ويعترف بأنه عبء ثقيل على تلك الكف التي حملته طوال السنين الماضيات، ولم تصفعه مرة، أو تخذله.
زاد الحضور حولي، وتأملوه معي، حين رفع رأسه ببطء عن ظهر كفّه..

دققوا في سكينة الكف..

-(هل السر في الرأس أم في الكف التي تحمل ضجيج الرأس؟!)

تساءلت، وعدت لمتابعة "المفكر" مع الحاضرين الذين زادت دهشتهم لمَا رأوا القوة التي دبّت في الكف، وتابعوا تحرك الكف الأخرى عاليا، مشكلة مع الأولى جناحي طائر أخذ يحلّق باتجاه الرأس..

انبهر الجمع بانتظار ما سيحدث.

لم يتحدّث أحد .

و"المفكر" أيضا، لم ترمش عيناه بل بقي محدّقا في المدينة أمامه. بينما كفّتاه تضغطان بقوة على رأسه.. أدارتاه دورتين، فتخلخل الصمت بصوت طقطقة الرقبة، ثم ازدادت سلاسة الرأس بين الكفين حتى انفصل عن جسد "المفكر".

صار الجمع عينا محدقة فقط.. وتابعوا حركة الكفّين وهما يضغطان الرأس في حجر "المفكر" الذي استطالت رقبته كأنها رأس آخر!!

شاهدوا الفراغ فوق الرقبة يتأمل الرأس كأنه يبحث عن مستقر الأفكار، والقلق، والضجيج فيه.. انحنت الرقبة، فأسندتها الكفّ، واستمرت في تأمل صندوق الرأس باحثة عن الفكرة هناك!

•••

قلت: (هل عادت الحياة إلى تمثال المفكر؟!).

وانفضّ الجمع من حولي..

اقتربت، فسمعت نحيب الجسد، كلّ الجسد، على الرأس الذي انفصل عنه!

تلمَسته.. لا دفء يسكنه. ولا حراك.. عاد برونزيا، باردا. ولكنه مختلف الآن: رقبته متكئة على ظهر كفّه. وقمتها فراغ يتأمل الرأس!!

•••

المساء..

لم يبق أحد في ساحة المتحف إلاّي.. خرج "رودان" من محترفه وبدأ ينحت في الفراغ رأسا كي يكون "المفكر" جاهزا ليراه الزوار في اليوم التالي!

بيضاء كجناحي حمامة[1]

ليلاً يتربص الظلام بالنور.. وتَلْعَقُ السماء الضوء. تبتلعه، فتصبح زنجية تغطي جسدها ثواليل النجوم.. وليلاً كذلك يأتي النوم حيث تدهن العتمة ما تبقى من فضاء الغرفة حوالَيّ، وعليّ أن أحتمل سكانها من سواد وبرد وصمت.. لكن لا نوم دون دفء وسكينة.. وحظّي قضى بأن يكون غطائي في العتمة (لحافا) قصيرا.. ما العمل إذن؟!.. إذا سحبته فوق رأسي.. كشفت قدميّ.. أما إذا غطيت قدميّ فلن أستطيع ستر رأسي.. هذا شيء خارج عن المألوف، لكني سأحاول النوم رغم ذلك..

أحاول.. أغمض عيني، فتتلقّفني أشباح الغائبين..

كانا اثنين.. وكنت معهما.. ورأيت مئات الوجوه الكئيبة مثلنا..

ثلاثتنا حين جلسنا أخذنا الوقت والكؤوس الثملة، التي ما أن تفرغ حتى تملأ من جديد.. وحين لعب الشراب برؤوسنا اشتد بنا الحنق والحزن.. وارتفع الحوار حادا بيننا، لكنه انتهى يائسا..

- (يا أخي القضية أكبر منا

- لكن العالم يدور ونحن كما نحن) وارتفعت الكؤوس قبل آخر

---

1 ـ القصة من مجموعة " الدواج" الصادرة في طبعتها الأولى عام 1996 ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق، سوريا، والطبعة الثانية عام 2012م. من دار ورد للنشر في عمان، الأردن.

(شفة) منها..

قلت: نخب ما سيأتي..

ثم خرجنا.. كان المطر غزيرا.. والظلام يدهن سقف المدينة.

تساءلت: كيف سنحمي الرؤوس من المطر؟! واحترت بين أن أستر رأسي أم قدمَيَ، رغم أن العتمة تغطي المكان، ورأسي وقدميَ.. والغطاء قصير.. ولابدَّ من الاختيار.

لكن إذا ضحيت بالرأس، وكشفت عنه الغطاء من سيحميه من الناموس الذي يزنّ دائماً قرب الآذان والعيون ويلسع كل بقعة آمنة فيه.. ولنفرض أنّي تخلّصت من كل أصناف (الناموس)، ماذا أفعل بالبرد القارس الذي قد يجمد الرأس إن لم أغطيه.. ما البديل؟!.. هل أضحي بالقدمين إذن؟.. لكنهما من لحم ودم ومن نفس طينة الرأس خلقتا، وشهية الناموس لا تفرق بين أعلى الجسد وأسفله..

أقرّب رأسي من قدمي..

أجعل كل جسدي كتلة قريبة من بعضها مثل كرة.. أو إطار نجاة، المهم ألا أضحي بأي جزء مني.. وأعلم أنه حين يتآمر البرد مع الناموس والظلام و(عناذة الرأس) فلا جدوى من المقاومة.. وسيكون ما تريد العتمة.. لكني أحاول.. وهكذا لابدّ أن يغطينا اللحاف جميعا.. رأسي قريب جدا من قدمي.. الآن أحاول النوم.. أسدل الجفون على العيون بعد أن توصّلت لهذا الحل.. لكنهم استقبلوني مرة أخرى كما تركتهم..

كان المطر غزيرا.. وثلاثتنا كنا كئيبين، ولكننا ابتسمنا على غير

فرح، حين حاولنا جمع نقود بيننا أجرة لسيارة تقلنا في هذا المطر والبرد..

لم نتكلم.. أخرج أحدنا جيوبه من أوكارها فخرجت بيضاء كجناحي حمامة.. وصفق الآخر يدا بيد علامة الإفلاس.. وأشرت بيدي إلى أفق الظلام بعيدا.. فمشينا لكننا أحسسنا بتعب أقدامنا بعد حين..

وأنا الآن يتعبني كثرة انحناء قدميَ وقربهما من الرأس، لا فائدة من إغماض العيون.. هذا حتما ظلم لقدميَ بعد كل (الدعس) عليهما نهارا، ثم حين يأتي موعد راحتهما أرهقهما بهذا الانحناء البغيض فداء للرأس.. ملعون رأسي هذا.. وملعون هذا الغطاء الذي يحابي الرأس دائما.. لكن حتى رأسي مستاءٌ لهذا الوضع، ها هو.. يحاول الابتعاد فلا أستطيع السيطرة عليه.. هل معه حق فيما يريد؟!

حتى وإن كانت رائحة قدميَ ترهقه.. ألا يستطيع المكوث في هذا التماس حتى ينجلي الظلامُ والبرد والناموس؟! وماذا سأفعل إذا كان الغطاء لن يستر الجميع إلاّ بهذه الوسيلة، أو التضحية بأحد الاثنين: الرأس أو القدمين!

يجب أن يتفقا، أو يظلم أحدهما، ولا بديل آخر.. لا بديل.

أمسك بقدميَ، أضغطهما على رأسي بينما أقرّب رقبتي من الأسفل وكلاهما يقاوم.

أية قوة تلك التي ترضي الرأس والقدمين في وقت واحد.. أحاول وأحاول كذلك إغماض عينيَ تحت دفء الغطاء علّني أوفق بينهما..

لكن بلا جدوى..

أغمض عينيَ..

أشاهد ثلاثتنا مشاة وقد أخذتنا نوبة من الضحك.. ولم نصمت.. وكانت أصواتنا تخلخل العتمة والبرد. وتبعثر حقائق السكون.. (ملعون هذا العمر الذي نقضيه مشاة على أقدامنا) لم نكن نميز أصواتنا.. (هذا زمان العتمة.. والصمت).. مرّت سيارة ورشقت وجوهنا بالوحل.. (اللعنة.. علينا أن ننتحر لنختصر هذا العمر) يزداد المطر. ويرتفع ضحكنا أكثر (فلنبحث عن

أرخص وسائل الانتحار إذن)!

يرهقني التوفيق بين رأسي وقدميّ تحت الغطاء ولا فائدة من إغماض العيون. اللعنة على العتمة والبرد والناموس.. واللعنة على هذا الرأس.. يقاومني وتتأثر معه الرقبة ثم تفلت مني القدمان، ويكاد الغطاء يسقط عن كل جسدي.. ولا جدوى.. لا جدوى، حتما سأطلق رصاصة على الرأس، أو أقيّد القدمين إن لم أجد حلاً لهذه المعضلة.

إيقاع الطبل[1]

-(دائما يرتدي القضاة عباءات سوداء.. لماذا؟!).

ردّد الهاجس عدّة مرات وهو ينتظر تبدّل اللون في الإشارة الضوئية.

-(أية سلطة يملكها اللون حتى بات طقساً يمسك زمام الحياة في كلّ الأمكنة؟! نفرح إذ نرى قوس قزح، ويقترن البياض بالكفن أو بالقماط، بينما الأخضر رداء الأتقياء، والأحمر نبيذ أو إشارة ضوئية!).

لقد طال الانتظار، ودم الإشارة لم يتغيّر..

فكّر وهو متحجّر داخل سيارته بانتظار أوامر اللون: (ثمّة سحر في اللون، وهناك تميمة وراء سرّه!).

شعر بوحدته بين سواد الإسفلت، وبرودة الحديد. فالتصق أكثر بالمقعد حين فاجأته ذكريات ذات المكان كاشفة استفهامها: (كيف أمكن لهم الثلاثة أن يعيشوا في غرفة واحدة؟! حين كان الشتاء يقطع عليهم، درب الخروج. بينما المدفأة توحّد جدوى بقائهم حولها.. كانوا: عرافا، ورساما، وكاتبا!!).

قال العراف: (لماذا يرتدي القضاة عباءات سوداء؟!)

خربَش الرسام بالفحم على بياض ورقة وهو يجيب ضاحكا:

---

1 ـ القصة من مجموعة "موت لا أعرف شعائره" الصادرة عام2004م عن دار أزمنة للنشر في عمان/ الأردن، ودار ميريت للنشر في القاهرة/ مصر.

-(حدادا على أرواح المتهمين!).

انتشى الكاتب معلنا بصوته، وبحركات إيمائية. طقوس المحاكمة بدء من افتتاحها، وانتهاءً بالحكم على المتهمين بارتداء البدلات الحمراء!

●●●

لون الإشارة، ما زال، قانٍ..

كنّا آنذاك ثلاثة..

وكنّا في ذات المكان. بانتظار حلول شجرة الإشارة، وإيناعها ورقا أخضر، يتيح لنا التسلل ببركته نحو الآتي من الدرب..

كنا ثلاثة في السيارة. وعيوننا ترقب تغيرها. كأنّا نعاين معجزة ستأتي، أو رسولاً سينطق بالرسالة!

الصوت ارتفع، فانكسر كأس صمتنا..

تهشّم جلال مراقبة زجاج اللون!

متقطّع أتى ضجيج الصافرة، فالتفتنا باتجاهه.. رافقه لون إضاءة دوّار.

وسرب سيارات تنبئ بموكب الرئيس..

مرّ بجوارنا، فابتسم لنا..

وابتسمنا، بعفويّة، له.

كانت نظرة واحدة فقط.. وتجاوزنا..

لم يتوقف مثلنا، بل اخترق سلطة لون الإشارة، وبقينا نرقب!

●●●

أمام المدفأة..

ألسنة اللهب تتصاعد، وحلاوة الدفء تتلاشى عند مواجهة حقيقة

ناموس النار الأزلي بأن لا يمسسها أحد..

قال الرسام: (هل أستطيع اللعب بالنار؟!)

العرَاف، أعطاه ولاّعة..

أما الكاتب فقد ردّد استهجانه مما رأى: (لو انتظر قليلاً.. فقط حتى يرمش الزجاج لونه الثاني.. قليلاً.. هل كان ينقص من مقامه شيء؟!)

بهيبة الرائي، أجاب العراف: (دائماً صخب الصوت، وجعجعة الضجيج، تصادر سلطة اللون!).. ثم أشار للرسام أن يمارس غواية اللعب بالنار.

●●●

اشتعلت السيارة..

كنّا نراها، ولمّا تختفي، من حدقات أعيننا، ابتسامة الرئيس الأخيرة حين مرَ، كأنه يودعنا، وكانت السلطة في الاتجاه الآخر بلون التقوى.. أخضر، مقام الشارة؛ حقل أينع فجأة، مبدلاً جفاف تربة اللون ببركة حجابه..

أيَ صراع دائم هذا؟!

حتى بين الألوان!!

سلطة من الأقوى إذن؟!

كنّا ننتظر..

تلاشت فينا الثقة بالألوان، حين اخترق موكب الرئيس أسطورة السرّ في اللون الأحمر..

لحظات، وعلا نحيب ضجيج الارتطام، فوق زغاريد صافرة الموكب!!

بقينا ننتظر..

وأحسسنا بالابتسامة تتلاشى؛ تلك اللفتة الأخيرة التي أودعنا إياها قبل أن يصطدم بمبعوث اللون الأخضر!

•••

تغيّر السواد..

بدّل الإسفلت جلده، فاقدا إرث عتمته. حين ساحت عليه ينابيع السائل الأحمر..

مرّة أخرى، صعقنا التبدّل الجنائزي!

صمتنا.. ودم الرئيس أوقف الجميع.

•••

ضرب العراف الطبل عدّة مرات..

انسلخ عن عالمنا.. باتجاه قبيلته الأولى، ناسيا أننا وإياه حول المدفأة يوحدنا الهرب من برودة الشتاء، ومن أيّ شخص رآنا حين ابتسم لنا الرئيس!

(أيّة كارثة تقع على رأس من يبتسم له الرئيس؟!

هذا يعني أن أحد الاثنين سينتهي.. ويعني، أيضا، أنه إذا مات الرئيس في تلك اللحظة، سيبقى الآخر ملاحقاً ومتهما حتى يأتي رئيس آخر، ماسحا بحضوره كلّ ابتسامات الرئيس الغائب!).

كان فرحاً وهو يضرب على الطبل بجنون..

حين صمت، قال: (الأقدار تقود الذي يريد.. أمّا الذي لا يريد، فإنها تجرّه!)

احتجّ الرسام: (بالصدفة كنّا هناك.. والابتسامة. كان من الممكن أن تكون لأي شخص، غيرنا!).

طمأنهم الكاتب: (إنهم يتصارعون، الآن، على من يخلف الرئيس).

•••

ضجّ كل من في قاعة المحكمة..

كان جمعٌ غفيرٌ هناك.. والمئات، كانوا خلف القضبان..

أحدهم قال: لست من ارتطم به.

أكّد آخر: كنت بالصدفة هناك.

ثالث أضاف: لقد مات الطرفان، الرئيس والآخرون، فلماذا تحاكمون الشهود؟!

القضاة، كانوا يلبسون بدلاتهم السوداء..

اللون الأحمر، مرّة ثانية.. كان على الشهود أن يلبسوا بدلات بلون دم الرئيس تكفيرا عن رؤيتهم لحظة غيابه!

•••

تابع العرّاف: (هل المهم معرفة الحياة؟!

أم الأهم منها أن نبقى أحياء؟!).

بقي الثلاثة حول المدفأة.. وكانوا قد تسلّلوا هربا، من مكان الحادث، قبل أن تجمع الشرطة الشهود، واختبأوا هنا بانتظار الرئيس الجديد..

-(هذا بلد يُجبّ الرئيس الجديد، فيها، كُل خطايا القديم. حتى موته..)

قال الكاتب ذلك وحرّك إبرة المذياع رغبة في أيّ خبر..

الموسيقى فتنة أخرى..

قاطع الموسيقي. الرسام، قائلا: (الفرح.. نعم. إن ما نحتاجه. هو الفرح بأننا أحياء!)

صمت..

صمتنا..

وصمتت الموسيقى، حين ارتفع صوت المذيع معلنا تعيين الرئيس الجديد..

فرحنا، كأن المذياع بعثنا مرّة أخرى..

وتابع العراف ضربه على الطبل..

•••

شعرت بالغبطة حين تغيّر اللون..

الأخضر، دالية تسرّ الناظرين!!

تابعت المسير.. واستمر إيقاع الطبل في ذاكرتي!!.

• • •

غري[1]

كان أجدى أن يصمتوا..

السكون، يعني فقدان القدرة على منح الدفء، والعجز الكامل أمام الصقيع الذي يعلن احتلال الجسد: (عيون باردة، آذان صماء، وجه غائب الملامح، قلب أجوف، وبدن بلا روح!).

الخطوة الأولى: دفعت النقود.

أعرف أنهم مازالوا هنا، رغم توقهم للخروج من إطار مقامهم الصامت، رغبة في استعادة جلال النبض.

الخطوة الثانية: تناولت البطاقة التي تؤهلني للعبور.

كلما أمعنت التفكير أكثر، زاد يقيني بأن هذا المكان هو أنسب مأوى يليق بجمود أعينهم التي تفضح ماضٍ يعتاشون على ذكراه.

الخطوة الثالثة: تجاوزت العتبة.

ها أنا في مستقرهم الأخير، أراهم كأي قطعة أثاث، فرجة لكل عابرْ سبيل، في المتحف.

تماثيل شمع مصقولة، تتقمّص تفاصيل من تجسّدهم، بعد أن صار جبروتهم، وقفا على دمى متصلّبة في متحف الشمع..

---

1 ـ القصة من مجموعة "موت لا أعرف شعائره" الصادرة عام 2004م عن دار أزمنة للنشر في عمان الأردن. ودار ميريت للنشر في القاهرة مصر

تسألت: (هل هذا هو بديل عروشهم البائدة؟!
دمى!
هل تمَ ذلك بموافقتهم؟!
أكانوا يرضون بالشمع مُلكا، لو كانوا أحياء؟!)

خطوة تالية: كأنني الوحيد الذي قطع تذكرة الدخول للمتحف هذا اليوم!!

لم أتراجع..

سرت، وبقيت أتأمَل التماثيل، غير أني لمحت عتابا على وجوههم، فأحسست بالشفقة للحظات، لكنها تلاشت سريعا حين دققت في الملامح فتبينتها ممتعضة من زيارتي.. أنصَت لهمس حوارهم البارد:

(-هذا ظلم.
- بل إنَه استهتار، واستهانة بمقامنا!
- اليوم هو يوم إجازتنا الوحيد.
- مَنْ أدخله ليوقظ صمتنا؟!
- كيف أدخلوه هنا؟
- إنها مؤامرة!!)

تتبعت جدول الأيام في ذاكرتي. فتأكدت من صحة احتجاج الدمى، واستهجنت قدومي في يوم إجازة المتحف، لكنني استغربت أنهم على البوابة أعطوني تذكرة الدخول.. هل تطال الدسائس حتى أبواب المتاحف؟!

مشيت في منتصف الممر بين التماثيل.. شعرت بعدائها لي. فتمنيت لو أنها منحوتة من صخر، أو برونز، كنت استرحت قليلا. وأحسست بالطمأنينة. وباليقين من أنها لن تقاوم قالبها الصلب لتخرج من تابوت سجنها.. لكن الشمع مختلف: رقيق الملمس، أنيق، حساس، شفاف، ندي، وطري، يصلح لأن يضاء أمام فراش حبيبين. أو على مذبح كنيسة. أما أن يُجسد به هيكل طاغية، أو بدن مخادع. ففي ذلك ظلم لسلالة الشمع، وخوف على نقائه. أيضا. من أن يتحايل عليه هؤلاء المجسدين فيه. ليتجددوا مرّة أخرى!

بدأت أشعر بالخوف..

- (من الذي خدعني بإدخالي هنا، في يوم إجازة الدمى الشمعية؟!)

ازداد دوي الاستفهام في رأسي، وأنا أدقق فيهم عراة أمامي. متخلّين عن ملابسهم التي يرتدونها أثناء عملهم الرسمي في حضرة الزوار.. راقبتهم بلا إجلال. وبلا فخامة. فشاهدت عريهم كاملاً. وتأكدت من ضآلة أجسادهم.. كانوا جميعا أمامي، وأنا الكاشف بؤس عوراتهم: (الرؤساء، الفنانون. القادة العسكريون. المجرمون. القضاة. رجال الدين. الحواة، الخلفاء، السياسيون، القراصنة، المفكرون..).. كلهم مكشوفون لعينيّ بلا مساحيقهم، وبلا زيّهم الرسمي، عراة كما الفضيحة!!

صمتهم صار أعمق، كأنهم يعبرون به عن استيائهم من حضوري بينهم..

خفت، ولم أتراجع!!

كانت لحظة رؤيتهم سواسية كسوءاتهم. قد استهوتني، فتابعت مسيري، واستعراضي لحقيقتهم..

كانوا يتثاءبون موتا، كلما مررت أمامهم، بينما برودة غيابهم تزداد مع قبح عريهم.. تمنيت لو يراهم الجميع كما هم أمامي!!

●●●

نهاية اليوم..

وجدتني أحمل كيسا فيه كل ملابسهم. وأخرج راكضا من المتحف.

فيزياء الفتنة![1]

تأملها..

ناضجة، كاملة، تكاد تقطر لذّة، كلما داعبتها شهوة العيون.. حمراء، لا داكن لونها، ولا باهت ألقها، ممتلئة كحدقة الواثق، تسرّ الناظرين!

راقبها، وهو يهذي هامسا: (لعنة الثمرة الكمال.. ولا معراج لها صعودا، لا متّسع لأرجوحتها يسارا أو ذات يمين، فما من سبيل لاختراق النظام... وكلما اهتزّت أوشكت على الانحدار، كأنما هي تبحث عن مستقرّ إليه المآل!).

كمن لا يريد جوابا، تساءل: (ألا يسقط إلاّ من اكتمل؟!).

شهواته تسبق إيماء عينيه...

وكان يرقبها بنظرة (خالع) حاك لأفكاره أجنحة من خيال وبقي يتابع تحليقها مهووسا أنّى ارتحل ذهنه، مدركا أنها ثمرة في طريقها إلى السقوط!).

رصدها، والحيرة تقتات منه: (ترى بأي عين أراها؟! هل بعين القلب أم بعين العقل؟! أأكتبها قصيدة شعر أم قانون فيزياء؟!).

(فتنة هو الجسد!)، قال هذا وهو عاقد العزم على أن يتمدّد أرضا،

---

1 ـ القصة من مجموعة " شجرة فوق رأس" الصادرة عام2009م ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى في الأردن.

قريبا منها. واضعا كل تفاصيلها أمام كل حضوره حيث لا مسافة بين اكتمالها وبين حيرة نظره إلا قامة الجذع الذي تعلّق عليه بهاءها تعلق شهيد على نقاء صليب!

مرّت نسمة ريح...

داعبتها.. تحركت قيد نبضة، فهفا قلبه نحوها متوجّسا: (هل تعشقه، أم أن هواها من نصيب غيره؟!).

تقاذفته الهواجس كما تتقاذف الريح اكتمال الثمرة...

لعن اليوم الذي مارس فيه الحياة عبر بوابة الفيزياء... متشككا صار من كل الأنظمة، ومن منطقه وعلمه: (كيف قضى العمر كله بين مراقبة الكائنات وهي تتحرك، أو متابعة الجمادات وهي في طور السكون؟! وتلك الرموز والأرقام التي ينقشها في دفاتره. كالحجب والتمائم، ماذا أضافت له غير الهلوسات والهذيانات؟! ثم، هل كل هذي الظواهر التي حرث، بتتبعها، ربيع عمره. تساوي لحظة تأمله لفتنة الثمرة الآن؟!).

اشتدت حركة الريح...

تداعت في ذاكرته صورة ذات الثمرة البكر في بداية الخلق حيث لحظات التأسيس الأولى للفيزياء، وللثمر، وللشجر، وللبشر؛ كان هذا بعد اكتمال السماء والأرض بنفخة في صلب التراب... التراب حبل بذرة... البذرة أوجدت شجرة... في الشجرة سكنت ثمرة. تجسّد فيها الجمال شهوة أغوت آدم، فكان سقوطها الأول من رحم الغصن إلى دفء فمه، ثم خروجه وإياها من لذّة قبّة السماء إلى حياة حقول الأرض!

كان موقنا أن طريق السماء إلى الأرض، كما طريق القمة إلى القاع،

لابد لها من المرور عبر ثمرة تكسر قداسة تقاليد الفيرياء!

خفق قلبه عند جملته الأخيرة فانفصلت الثمرة عن الشجرة... انزلقت من مكانها كأنها تريد القدوم إليه، كأنها تستعجل الحلول أمامه بكامل تاريخ فتنتها منذ السقوط الأول، حتى هذي النبضة الأخيرة...

مشوقا لها صرخ: (إنها الثمرة التي أريد!).

تابع سقوطها وهو يهذي: (أقسم إنها هي.. لقد وجدتها.. وجدتها!).

تلقفها مثل عشيقة، وحملها كبعض منه...

أخذ يركض حاملا إياها. صارخا: (وجدتها... وجدتها...!).

أيقن أن الثمرة اكتملت. فسقطت تحت تأثير جاذبية عشقه لها.. حضنها بلهفة..

داراها بين يديه، ملساء، مستديرة، تتلألأ كأنها مشكاة نور.

أغرته بحضورها، فهمّ بها...

تساءل: (ماذا بعد أن أتت إليه كالبشارة من السماء؟!.. هل يبقيها كاملة كما عشقها، فتذبل من جور الزمان، أم يقضمها بشهوة، فتتحقق بذلك لعنة الكمال؟!).

أوشك قلبه على الانشطار من شدة دفء التصاقها بيديه... قرّبها من فمه. فتراءى له آدم الأول ماضغاً التفاحة الأولى بعد أن تهدمت كل قلاع صبره أمام إغوائها له! قرّبها أكثر من شفتيه، ثم احتضنها بأسنانه قاضما إيّاها بلذّة عمر من الانتظار!

نظرها بعد أن اجتزأها...

حدّق بها...

صارت مبتورة. وما عادت أمام ناظريه كاملة الحضور كما في البدء...

اختلّت صورتها في ذهنه، واهتزّت رؤيته لها. فاستعاد مهابة لحظة السقوط متسائلاً: (لماذا سقطت بعد أن اكتملت؟! وهل جاذبية حضوري أم جاذبية الأرض ما أسقطها؟!).

قضمها مرّة أخيرة مستحضرا فتنة التفاحة الأولى لجدّه الأول، ثم أخذ يرسم قلبا وأرضا في ما تبقى من رموز قانون الجاذبية الذي اكتشفه!

لَولَـب[1]

يهزّه...

يذوي لحظة ثم ينتصب بشبق فيعلو نبضه.. يزداد قلقه، فيوقظ كل الجوارح لكنها تتشنج فلا تستطيع التحكم بإرادتها.. يعصف كالريح فيخلخل ثبات الرؤية وينفي استقرار الحواس.

(يا إلهي ما الذي أقلق القلب؟!).

هجس بهذا السؤال وهو يراقب رعشة يده إذ تقلب دفتر مواعيده بينما نظره لم يعد يرى الكلمات، وصارت صورة واحدة تُرسم على كل السطوح التي تنتصب أمامه.. كانت أنثى!

قلَّب الدفتر أكثر من مرة لكن بلا جدوى.. ترى أي مواعيد ستُنجَز إن عاشت الأنثى بروحها في صفحات الوقت؟!

كانت أيامه مغلقة بالعمل حتى سنين بعدد أذرع أخطبوط أسطوري، وكان يهذي دائما وهو مرتبك من هذا الكم الهائل من اللهاث الذي يجب أن ينجزه خلال أيامه المعلّبة في هذا الدفتر المتقوقع أمامه: (وي لهذا العمر، إنه لا يكفي.. لا يكفي أبدا!).

---

1 ـ القصة من مجموعة "شجرة فوق رأس" الصادرة عام2009م ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى في الأردن.

عدّ على أصابعه وهو يراوح بعينيه بين قلبه المختفي تحت قميصه وبين الدفتر البارز كالفضيحة.. وكان هذا ينتظر وذاك ينفطر بينما فكره يحاول المواءمة بينهما في حساباته...

هزّ رأسه وهو يتحدث لروحه: (كان يجب أوّلاً أن يتمّ اختصار أشهر الحمل في رحم الأم، إنها أيام تهدر بلا جدوى، ثم لابدّ، ثانيا، من تجهيز برنامج لاختصار سنوات الحب والطفولة.. نعم، فالعمر لا يحتمل كل تهريج الصغار وعبثهم غير المسوّغ...). حرك إصبعه الثالث في محاولة لاختصار مراحل أخرى من العمر حتى تتسع سنوات الحياة في دفتر مواعيده لكل خططه والتزاماته لكنه تفاجأ بإزعاج نبض قلبه له في حساباته الجديدة!

تذكر قلبه.. وتذكر أيضا تغيّر سير نبضه وسرعته وقلقه الدائم وتلك الصورة التي صارت تأخذ حيّز الأشياء حوله وتشغله من حاسوبه ودفتره وحساباته... كان قد نسي قلبه منذ سنين حتى أنه في الأشهر الأخيرة كان ينظر إلى الجهة اليسرى من جسده بخجل وازدراء!

التفت إلى صفوف الكتب على الرفوف أمامه، حاول أن يتحرك باتجاهها لكنه وجد الحاسوب أقرب منها.. كان يربض كعصفور على قفص مكتبه، ففضل أن يستخدمه لمعرفة أسباب التغير والقلق في

الجبهة اليسرى من صدره... ضرب على أحد الأزرار فتداعت الكتابة على الشاشة، ثم كتب مستفسرا عن القلب فرد عليه الحاسوب بالسؤال: (القلب مضخة لاستيراد السوائل الملونة ثم تصديرها لباقي أجهزة الجسد.. إذا كان هناك خلل ما فاعطني الأعراض أعطك سبب العطل!). ابتسم، وبدأ يكتب قلق نبضه على شاشة الحاسوب. ثم حين أنهى انتظر قليلا فأجابته الآلة: (إنه مرض قديم، واسمه الحب!). كانت أحرف الإجابة كبيرة فالتفت حوله خوف أن يكتشف أحد حالته فيفضحه في المدينة... شعر باضطراب أكثر فأغلق الحاسوب بغضب وأظلمت الكلمات فجأة!

ضرب جبهته بيده وهو يهذي بهستيريا: (ما الذي يزجّ الأنثى كفرض الموت إلى حياتنا؟! كيف لنظرة أو بسمة أن تغيّر إيقاع الحياة هكذا؟! الأنثى مؤامرة، وُجودها يعني تهميش الحاسوب والمواعيد والعمل، والتفرغ لها بأن تعود بدويا كما أرادتك الصحراء، وهذا ليس طغيانا منها بل هو ضعف القلب، إذن فالقلب مؤامرة وربما الحب مؤامرة أيضا!).

أراد أن يعود إلى آلته ليسألها عن أصل المؤامرة، لكنّه آثر أن يستشير طبيبا في حالته هذه... رفع سماعة الهاتف وبدأ دلق الأرقام في حنجرة القرص وهو يتابع دورانه، لكنه شعر بالدوران الأكيد وأحسّ بالغثيان وبرغبة في التقيؤ!

تحامل على نفسه، وأكمل الأرقام حتى رد عليه الطبيب من الطرف الآخر... تحدّث معه واصفا له حالته حتى غثيانه الأخير، وبسرعة جاءه الرد فاهتز رأسه وأحسَ بكل سوائل جسده تفيض من فمه... رمى السماعة وركض ليغسل قذاراته وهو يهذي غير مصدق ما حدث: (انه الحمل... إنها أعراض الحمل!).

عاد واضعا يده على قلبه بينما نظره مركّز على دفتر مواعيد عمره، وهو يستعيد بذاكرته، مرة أخرى كلمات الطبيب: (قلبك سليم... والنبض الشديد هو حركة جنين الحب، أما الغثيان والدوار فهي أعراض حمل هذا الجنين)... وقال أيضا: (مبارك!). تصفّح الدفتر، كان مملوءً بالأرقام والحسابات واللغات حتى أنها تكاد أن تفيض منه! تحسّس قلبه كان ينبض بقوة أكثر.. حينها قال: (إنها مؤامرة!) وبسرعة رفع سماعة الهاتف مرة أخرى طالبا ذات الرقم...

قال: (أرجوك، أريد أن أجهض هذا الجنين، ثم أريد أيضا، بعد الإجهاض أن أضع لولبا في القلب كي لا تتكرّر حالة الحمل هذه، ولو بالخطأ!).

أغلق السماعة...

وحمل دفتره مغادرا كزوبعة!

السـيرة الذاتيـة

•مفلح العدوان (مفلح فلاح عبد العدوان) .

•قاص وروائي وكاتب مسرح وسيناريو وصحفي وباحث

•بكالوريوس هندسة كيميائية / الجامعة الأردنية –1990.

•مواليد الزرقاء / 1966.

الخبرات العملية :

- من 1/1/2008رئيس وحدة الشؤون الثقافية في الديوان الملكي الهاشمي/ الأردن.

- من عام 1990 كاتب في الصفحات الثقافية في جريدة الرأي/الأردن.

- من عام 2005 كاتب صفحة بوح القرى/ موسوعة القرية الأردنية/ جريدة الرأي/ الأردن.

- من عام 1995 الى 2002 مسؤول صندوق دعم البحث العلمي في المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا/ الأردن .

-من عام 1990 الى عام 1995 / مهندس في شركة مناجم الفوسفات الأردنية .

•الإصدارات المطبوعة :

- " الرحى " - مجموعة قصصية – عام 1994 – منشورات دار أزمنة / عمان

- " الدواج" – مجموعة قصصية – عام 1996 – منشورات اتحاد الكتاب العرب / دمشق .

- "الدواج"-مجموعة قصصية- عام -2012 منشورات دار ورد/عمان-الأردن

-عمان الذاكرة – نصوص نثرية – ط1/ 1999 – منشورات أمانة عمان-الأردن

-عمان الذاكرة-نصوص نثرية- ط2/ 2007 م – وزارة الثقافة/ الأردن- منشورات مكتبة الأسرة/مهرجان القراءة للجميع.

- " موت عزرائيل" – مجموعة قصصية – 2000 – منشورات المؤسسة العربية للنشر والدراسات / بيروت

-عشيات حلم – مسرحية – 2001 – منشورات دائرة الثقافة / الشارقة.

-موت لا أعرف شعائره – مجموعة قصصية – منشورات دار ميريت للنشر / القاهرة – 2004.

-موت لا أعرف شعائره- مجموعة قصصية – منشورات دار أزمنة للنشر / عمان –2004 .

-ظلال القرى وآدم وحيدا(مسرحيتان)- منشورات أمانة عمان الكبرى/عمان-2006.

-موسوعة القريةالأردنية/بوح القرى/ الجزء الأول- منشورات مركز الرأي للدراسات والأبحاث- عمان/ الأردن2008-م.

-موسوعة القريةالأردنية/بوح القرى/ الجزء الثاني- منشورات مركز الرأي للدراسات والأبحاث- عمان/ الأردن2010-م.

-شجرة فوق رأس- مجموعة قصصية- منشورات أمانة عمان الكبرى/ الأردن- 2009م.

-العتبات-رواية- منشورات الدار الأهلية/عمان-الأردن2013-م.

-أربع نصوص مسرحية (ظلال القرى/عشيات حلم/بلا عنوان/سجون)/ منشورات الهيئة العربية للمسرح(14)/ 2013م/ الشارقة-الامارات العربية المتحدة.

•رسالة ماجستير تناولت هذه الأعمال بعد ترجمة 15 قصة إلى اللغة البولندية، وحصلت الطالبة البولندية ماريا قاسينيكا في جامعة كراكو في بولندا على درجة الماجستير بعد مناقشة الرسالة في عام 2002.

الجوائز :

- جائزة محمود تيمور للقصة علي مستوى مصر والوطن العربي من المجلس الأعلى

للثقافة في مصر / المرتبة الأولى / عن مجموعة الرحى – 1995 .

- الميدالية الفضية من مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون عن برامج المنوعات / عن برنامج " نقوش الليل " عام 1997 .

- شهادة تقدير من مهرجان الرواد الأول في القاهرة / 1999 / جامعة الدول العربية.

-جائزة اليونسكو للكتابة الإبداعية / فرنسا – 2001 .

-جائزة الشارقه للإبداع في مجال المسرح – المرتبة الثالثة (الشارقة – الإمارات العربية المتحدة) – 2001 .

- فاز نص مونودراما تغريبة ابن سيرين ضمن العشرة نصوص الأولى في مسابقة المونودراما العالمية بالنسخة العربية- الفجيرة 2011م.

مشاركات في المجال الصحفي:

- النشر منذ عام 1990 وحتى الآن في معظم الصحف الأردنية والعربية.

- الكتابة في جريدة الرأي منذ عام 1990 في الصفحات الثقافية.

- كتابة وتصوير صفحة "بوح القرى"في جريدة الرأي، منذ عام 2005م، وهذه الصفحة تؤرخ للقرى الأردنية، كجزء من مشروع موسوعة القرية الأردنية.

- عضو الهيئة العليا لمجلة منبر الأمة الحر/عمان-الأردن/2008م2010-م

- رئيس تحرير نشرة فضاء المسرح "يومية مهرجان المسرح الأردني الثاني عشر- الدورة العربية الرابعة2004-" .

- رئيس تحرير نشرة فضاء المسرح "يومية مهرجان المسرح الأردني الثاني عشر- الدورة العربية الرابعة2005-" .

-عضو هيئة تحرير مجلة الفنون الصادرة عن وزارة الثقافة في الأردن، منذ عام 2006م..

-عضو هيئة تحرير نشرة الموسم"يومية الموسم الثقافي الأردني الأول – نقابة

مشاركات في المسرح :

–عرضت مسرحية " ظلال القرى " في الجامعة الأمريكية اللبنانية من خلال قسم المسرح في بيروت عام 1996(المخرجة جهينة رزوق وأداء مجموعة من طلاب قسم المسرح في الجامعة، والمشرف هو الدكتور المسرحي زياد أبو عبسي).

– عرضت مسرحية ظلال القرى في مهرجان المسرح الأردني السابع/ عمان 2002 .(سينوغرافيا واخراج الفنان عبد الكريم الجراح/ دراماتورج: مظفر الطيب/ تمثيل: نزيره أديب: العرافة، تحسين خوالده: الشيخ، مرعي الشوابكه: أبرهه، علاء الجمل: ميشع، ومجموعة راقصين منهم: محمد عوض، سمير ابراهيم، دالي ولسون).

–عرضت مسرحية ظلال القرى في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي/ الدورة الخامسة عشرة عام 2003 في مصر. (سينوغرافيا واخراج الفنان عبد الكريم الجراح/ دراماتورج: مظفر الطيب/ تمثيل: نزيره أديب: العرافة، تحسين خوالده: الشيخ، مرعي الشوابكه: أبرهه، علاء الجمل: ميشع، ومجموعة راقصين منهم: محمد عوض، سمير إبراهيم، دالي ولسون).

–عرضت مسرحية مونودراما " أدم لوحده" أو "آدم وحيدا" في موسم وزارة الثقافة للمسرح في عامي 1997م و 1998م. (إخراج: نبيل الخطيب. تمثيل: الفنان ياسر المصري. موسيقى: وليد الهشيم. ديكور: نادر عمران. إضاءة: نبيل الخطيب).

–عرضت مسرحية مونودراما " أدم لوحده" أو"آدم وحيدا" في مهرجان المسرح الجامعي الدولي في كازابلانكا/ المغرب عام 1997م. (إخراج: نبيل الخطيب. تمثيل: الفنان ياسر المصري. موسيقى: وليد الهشيم. ديكور: نادر عمران. إضاءة: نبيل الخطيب).

– عرضت مسرحية مونودراما " آدم لوحده" أو"آدم وحيدا" في مهرجان سيزيريا

في كييف عام 1998م. (إخراج: نبيل الخطيب. تمثيل: الفنان ياسر المصري. موسيقى: وليد الهشيم. ديكور: نادر عمران. إضاءة: نبيل الخطيب).

عرضت مسرحية مونودراما "آدم وحيداً" في مهرجان المسرح الأردني 2009م، إخراج د.فراس الريموني.

- عرضت مسرحية "عشيات حلم" على مسرح كلية الفنون في جامعة اليرموك في الأردن، ضمن مهرجان أربد المسرحي الأول في منتصف كانون أول 2007م.(سينوغرافيا وإخراج: الدكتور محمد خير الرفاعي، وأداء مجموعة من طلبة كلية الفنون في جامعة اليرموك/ الأردن).

-مشاركة في فعاليات مسرح غواديلوب الوطني "ارتشيل" في فرنسا، من خلال نص مسرحي عنوانه "من ينقذ الغريق" تمت ترجمته إلى الفرنسية وعرضه ضمن فعاليات عنوانها "ضد من نتمرد اليوم؟".

- عرضت مسرحية "بلا عنوان" في افتتاح فعاليات القدس عاصمة للثقافة العربية في الأردن/ عمان/ 2009م، المركز الثقافي الملكي/عمان (سيناريو وسينوغرافيا واخراج الفنانة مجد القصص، موسيقى وليد الهشيم، تصميم الرقصات دينا أبو حمدان، وأداء مجموعة من الممثلين والراقصين).

- عرضت مسرحية "بلا عنوان" في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي/الدورة23، عام 2009م، ودخلت المسابقة لهذه الدورة. (سيناريو وسينوغرافيا وإخراج الفنانة مجد القصص، موسيقى وليد الهشيم، تصميم الرقصات دينا أبو حمدان، وأداء مجموعة من الممثلين والراقصين).

- عرضت مسرحية "بلا عنوان" في أيام قرطاج المسرحية/تونس/2009م. (سيناريو وسينوغرافيا واخراج الفنانة مجد القصص، موسيقى وليد الهشيم، تصميم الرقصات دينا أبو حمدان، وأداء مجموعة من الممثلين والراقصين).

- عرضت مسرحية مونودراما آدم وحيدا، في مهرجان طقوس المسرحي/ عمان/2009م (إخراج د.فراس الريموني/ فرقة طقوس المسرحية).

- عرضت مسرحية "سجون" في المركز الثقافي الملكي ضمن فعاليات مواسم المسرح 2010م.

- عرضت مسرحية "سجون" في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي/ الدورة 24، عام 2010، ودخلت المسابقة لهذه الدورة.

-عرضت مسرحية "عشيات حلم" في مهرجان المسرح الأردني الدولي/الافتتاح- عام 2011م.

-عرضت مسرحية "عشيات حلم" في مهرجان المسرح العربي/ الهيئة العربية للمسرح، في الدورة الرابعة التي أقيمت في عمان/ الأردن-الافتتاح2012-م.

-فازت مسرحية عشيات حلم بالجائزة الأولى كأول عرض مسرحي متكامل في مهرجان الأورومتوسطي للمسرح المتعدد في مدينة تطوان/ المغرب.

مشاركات في التلفزيون والإذاعة وكتابة الأفلام الوثائقية :

-كاتب برنامج المنوعات " نقوش الليل " للقناة الأولى في التلفزيون الأردني في الفترة (1996 – 1998)، وتمت كتابته بحلقات مختلفة للإذاعة الأردنية خلال رمضان عام1999.

- معد برنامج " المقهى الثقافي " للقناة الفضائية في التلفزيون الأردني .

- معد برنامج "العمر كله" للقناة الفضائية في التلفزيون الأردني.

- معد ومقدم برنامج " المنتدى المرئي لفضائية "راديو وتلفزيون العربART" .

- معد برنامج " نادي الكتاب لفضائية "راديو وتلفزيون العربART" .

-كاتب نص وسيناريو فيلم " عمان " / فيلم تسجيلي وثائقي عن عمان المكان والتاريخ والإنسان مدته نصف ساعة (لحساب أمانة عمان) من إخراج أحمد

الفارس – عام 1997، وتم عرضه في مهرجان أيام عمان المسرحية .

- كاتب نص وسيناريو فيلم"المغطس" الذي أنتجه مركز المغطس الإعلامي وأخرجه إياد الخزوز.

- كاتب فيلم طيور الأزرق الذي انتجه التلفزيون الأردني.

- كتابة برنامج "بوح الأمكنة" للإذاعة الأردنية خلال دورات عام2004.

- الكتابة، والإشراف على برنامج "بوح البادية" للتلفزيون الأردني، 2009/2010م.

-كتابة برنامج "منمنمات أردنية" للتلفزيون الأردني 2013م

-كتابة برنامج "بوح المكان" للإذاعة الأردنية 2013م.

-إعداد وكتابة أكثر من 40 فيلم وثائقي لمؤسسات رسمية وأهلية ولمشروعات مختلفة.

الهيئات الثقافية والمهنية :

- عضو رابطة الكتاب الأردنيين منذ عام 1994.

- عضو هيئة إدارية في رابطة الكتاب الأردنيين للدورة (2007–2009).

- عضو هيئة إدارية في رابطة الكتاب الأردنيين منذ عام 1997 / أمين لجنة العضوية وأمين اللجان الداخلية/ في فترات متفاوتة حتى عام 2005 .

- عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب منذ عام 1994.

- عضو مؤسس فرع منظمة القلم الدولية في عمان/ الأردن.

- المنسق العام لشبكة القلم العربي/ 2012م.

- عضو اللجنة الإدارية الأولى لفرع منظمة القلم الدولية في عمان/ الأردن.

- عضو مؤسس في " بيت الأنباط " – الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري.

- نائب رئيس "بيت الأنباط–الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري" منذ عام 2005.

-عضو لجنة الإعلام البيئي في وزارة البيئة الأردنية 2003–2005.

-عضو في المنظمة العربية لحقوق الإنسان منذ عام 1996.

-عضو نقابة المهندسين الأردنيين منذ عام 1990.

-عضو مؤسس لاتحاد كتاب الإنترنت العرب.

-عضو الهيئة الإدارية لإتحاد كتاب الإنترنت العرب .منذ عام 2005 (أمين الصندوق).

- رئيس اتحاد كتاب الإنترنت العرب/ 2009م.

-عضو في الهيئة العربية للمسرح-الشارقة- الإمارات العربية المتحدة.

اللجان والمؤتمرات:

- عضو في اللجنة العليا للموسم المسرحي، ومهرجان المسرح الأردني الدولي/ وزارة الثقافة/ 2010م.

- عضو في اللجنة العليا المنظمة للمؤتمر الثقافي الوطني/الجامعة الأردنية/2010م.

- المشاركة في ندوة "الثقافة العربية في ظل وسائل الاتصال الحديثة"/ مجلة العربي/الكويت/2010م.

- عضو في اللجنة العيا لكتابة تاريخ الأردن/وزراة الثقافة/2009م.

- المشاركة في مؤتمر الإسكندرية الأول للثقافة الرقمية/ قصر التذوق/ الاسكندرية/ 2009م، ورقة بعنوان (اتحاد كتاب الانترنت العرب.. ومستقبل الكتابة العربية).

- عضو في اللجنة الاستشارية العليا للمسرح/ وزارة الثقافة في الأردن/ 2005.

- عضو في لجنة قراءة نصوص الموسم المسرحي لوزارة الثقافة الأردنية2005.

- عضو لجنة تحكيم لمسابقة الإنتاج الإبداعي للإطفال والتي تقيمها مؤسسة شومان بالتعاون في مؤسسة نور الحسين ومؤسسة اليونيسيف، للأعوام2001،2002،2003.

- عضو اللجنة الإعلامية لمهرجان الفحيص للأعوام من 1996،1997،1998.

- المشاركة في ملتقى عمان الثقافي 12(ثقافات الأم: صراع أم تواصل)، وزارة الثقافة في الأردن، ورقة عنوانها"ميثولوجيا الأرض الواحدة: حوار الأسطورة، أسطورة الحوار".

- المشاركة في مهرجان عمان الثقافي الثاني الذي تنظمه أمانة عمان في الأردن، في

الندوة المتخصصة التي عنوانها "مستقبل النص المسرحي- نص المؤلف، نص المخرج".

- المشاركة في ورشة الإبداع التي نظمتها الدائرة الثقافة والإعلام في الشارقة بعنوان "الأدب وإشكالية التجنيس"، وكانت المشاركة بورقة ضمن محور "السردية والنص السردي" 2002-.

- المشاركة في الدورة التدريبية للمنظمات غير الحكومية "دورة سليمان الحديدي"، والتي ينظمها المعهد العربي لحوق الإنسان1996.

- المشاركة في ندوة "الثقافة والمعلوماتية" التي نظمتها وزارة الثقافة في الأردن. عام 2004، وعنوان الورقة "ثقافة الصورة..والتكنومثقف".

- عضو في اللجنة العليا لمهرجان المسرح العربي/ الدورة الرابعة، الذي نظمته الهيئة العربية للمسرح في عمان-الأردن.

- المشاركة في مؤتمر منظمة القلم الدولية، في كوريا الجنوبية/ بوسان2012-م.

المحتوى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقًا)
ت: 23904096 - 23952496

سلسلة آفاق عربية

واكتمل النصاب

معجزة أبي أنا

كان يدري أني لن أترك هذا المكان، ويعلم أني أصير سمكة إن أردت، وأكون حوتًا بأمري.. وإذ تحاصرني الجدران وتضيق بي أغدو قطرة ماء، أتسلل من أي شق، وأنزّ منتزعًا خلاصي!

ولدت سلسل الماء، فكيف بالماء يخيفني؟!





www.gocp.gov.eg

الثمن : ثلاثة جنيهات